

رسالة بعنوان

شرك الطاعة

ذو القعدة ١٤٤٤ هـ

تأليف



تمهيد

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين أما بعد فهذا بحث مُستلٌ من كتاب: **الهداية في مسألة عظيمة في دين الله تعالى وقع فيها النزاع بين بعض الإخوان فأحببت إفرادها برسالة مستقلة ليسهل الإطلاع عليها والانتفاع به والرجوع إليه عسى الله أن يجمع بها الشتات ويلم بها الشمل والله الهادي إلى سبيل الرشاد.**

نقول وبالله التوفيق أنَّ الانقياد لله عز وجل يكون بقَبُولِ شَرعِهِ وطاعة أمره والعمل بدينه، **قال تعالى:**﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴾[المائدة 92]، **وقال تعالى:**﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا ﴾[الأحزاب 36]، **وقال تعالى:** ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾[الزمر 54]، **وقوله:**"﴿ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ ﴾يقول: **واخضعوا له بالطاعة والإقرار بالدين الحنيفي** ﴿ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ﴾ من عنده على كفركم به"[1]، وقال الطبري:" والذي أراد ابن عباس ـــ إن شاء الله- بقوله في تأويل قوله: ﴿ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ﴾ **وحّدوه، أي أفردُوا الطاعة والعبادة لربكم دون سائر خلقه"**[2].

وأمر الله بطاعته ﷻ وأذن في طاعة رسوله ﷺ وعلَّق عليهما الهداية كما في قوله:﴿ قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيۡكُم مَّا حُمِّلۡتُمۡۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴾ [النور 54]، **وقال**

---

[١] **تفسير الطبري** 312/21

[2] **تفسير الطبري** 363/1

تعـــالى:﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ ﴾ [النســاء 64]، قـــال البغـــوي: قَوْلُـــهُ عَـــزَّ وَجَـــلَّ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ ﴾ ، أَيْ: **بِـــأَمْرِ اللَّهِ لِأَنَّ طَاعَـــةَ الرَّسُـــولِ وَجَبَـــتْ بِـــأَمْرِ اللَّهِ**، قَـــالَ الزجـــاج: ﴿ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ ﴾ **لِأَنَّ اللَّهَ قَـدْ أَذِنَ فِيـهِ وَأَمَـرَ بِـهِ**"[1]، وعــن أَبِــي الْعَبَّــاسِ الْفَضْــلُ بْــنُ زِيَــادٍ، قَــالَ: سَــمِعْتُ أَبَــا عَبْــدِ اللَّهِ أَحْمَــدَ بْــنَ مُحَمَّــدِ بْــنِ حَنْبَــلٍ يَقُــولُ:« نَظَــرْتُ فِــي الْمُصْــحَفِ فَوَجَــدْتُ فِيهِ طَاعَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي ثَلَاثَةٍ وَثَلَاثِينَ مَوْضِعًا»[2].

وأَذِن الله فــي طاعـــة أوليـــاء الأمـــور فـــي آيـــة واحـــدة فـــي كتـــاب الله، وجـــاءت مقيـــدة بطاعـــة الله وطاعـــة رســـوله ﷺ، وضـــمن وصـــف معـــين لأوليـــاء أمـــور المســـــلمين، قـــــال تعـــــالى:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ [النســاء59]، وعـــن أَبِـــي هُرَيْـــرَةَ رَضِـــيَ اللَّهُ عَنْـــهُ: أَنَّ رَسُـــولَ اللَّهِ ﷺ قَـــالَ: « مَـــنْ أَطَـــاعَنِي فَقَـــدْ أَطَـــاعَ اللَّهَ، وَمَـــنْ عَصَـــانِي فَقَـــدْ عَصَـــى اللَّهَ، وَمَــنْ أَطَــاعَ أَمِيــرِي فَقَــدْ أَطَــاعَنِي، وَمَــنْ عَصَــى أَمِيــرِي فَقَــدْ عَصَــانِي»[3]، وقَــالَ عَلِــيُّ بْـــنِ أَبِـــي طَالِـــبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «حَـــقٌّ عَلَـــى الْإِمَـــامِ أَنْ يَحْكُـــمَ بِمَـــا أَنْـــزَلَ اللَّهُ وَيُـــؤَدِّيَ الْأَمَانَـــةَ فَـــإِذَا فَعَـــلَ ذَلِـــكَ فَحَـــقٌّ عَلَـــى الرَّعِيَّـــةِ أَنْ يَسْـــمَعُوا وَيُطِيعُـــوا»[4]، فطاعـــة أوليـــاء الأمـــور ومـــن لـــه ســـلطان شـــرعي هـــي مـــن طاعـــة الله ورســـوله ﷺ، ومـــن ذلـــك مـــا

[١] الابانة الكبرى 260/1

[٢] الابانة الكبرى 260/1

[٣] رواه البخاري برقم 7137 و أخرجه مسلم في الإمارة باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية. . رقم 1835

[٤] تفسير البغوي 659/1

روي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «طَاعَةُ اللَّهِ طَاعَةُ الْوَالِدِ، وَمَعْصِيَةُ اللَّهِ مَعْصِيَةُ الْوَالِدِ»[1].

المطلب الأول: الطاعة حق لله ولمن أذن لهم من أولي الأمر الشرعي.

فمن حقوق الله على عباده طاعته فيما أمر قال تعالى:﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾ [الزمر 3] ، قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: "ألا لله **العبادة والطاعة** وحده لا شريك له، خالصة لا شرك لأحد معه فيها، فلا ينبغي ذلك لأحد، لأن كل ما دونه ملكه، وعلى المملوك طاعة مالكه لا من لا يملك منه شيئا"[2]، وقال تعالى:﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف 55] ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الْخَلْقُ خَلْقُ اللَّهِ وَالأَمْرُ أَمْرُهُ» [3]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ﴾[آل عمران 154] وقال تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ [آل عمران138] قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ أَيْ:« لَيْسَ لَكَ مِنَ الْحُكْمِ شَيْءٌ فِي عِبَادِي إلا مَا أَمَرْتُكَ بِهِ فِيهِمْ»[4].

والله سبحانه وتعالى ما خلق الخلق إلا لعبادته وطاعته كما قال تعالى:﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[الذاريات 56]، قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِلَّا لِيَعْبُدُونِ. أَيْ: إِلَّا لِآمُرَهُمْ أَنْ يَعْبُدُونِي وَأَدْعُوَهُمْ إِلَى عِبَادَتِي»، يُؤَيِّدُهُ قَوْلُهُ

[١] رواه الطبراني في الأوسط برقم 2255
[٢] تفسير الطبري 250/21
[٣] رواه ابن أبي حاتم برقم 8585
[٤] رواه الطبري في تفسيره برقم 4127

عَــــزَّ وَجَــــلَّ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ﴾"[1]، وَعَــــنْ مُجَاهِــــدٍ وَزَيْــدِ بْــنِ أَسْــلَمَ تَفْسِــيرُ قَوْلِــهِ: ﴿إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾بِمَعْنَــى: «إِلَّا لِآمُــرَهُمْ وَأَنْهَــاهُمْ»[2]، وقال عكرمة: «إِلَّا **لِيَعْبُدُونِ ويطيعون**. فأثيب العابد وأعاقب الجاحد»[3].

❀ ونهى الله عــزَّوجــل عــن طاعــة الطواغيــت والمشــركين فــي آيــات كثيرة:

❀ قــــال تعــــالى:﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝ وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمۡرَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾ [الشــــعراء151] .عَــــنْ قَتَادَةَ ﴿أَمۡرَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ أَيْ الْمُشْرِكِينَ»[4].

❀ وقــــال تعــــالى: ﴿ فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ﴾ [الزخــــرف54] ، "أَيِ: اسْتَخَفَّ عُقُولَهُمْ، فَدَعَاهُمْ إِلَى الضَّلَالَةِ فَاسْتَجَابُوا لَهُ"[5].

❀ وقــــال تعــــالى:﴿ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴾[الاحــــزاب67]، قــال قتــادة أي: «رؤوســنا فــي الشــر والشــرك»[6]، وقــال الطبــري:" وقــال الكــافرون يــوم القيامــة فــي جهــنم: ربنــا إنــا أطعنــا أئمتنــا فــي الضــلالة وكبراءنــا فــي الشــرك ﴿فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ يقــول: فأزالونــا عــن محجــة الحــق وطريــق الهــدى والإيمــان بك والإقرار بوحدانيتك **وإخلاص طاعتك في الدنيا**"[7].

❀ وقــــال تعــــالى: ﴿وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا﴾[الكهــف 28] فعــن الســدي، عــن أبــي ســعيد الأزدي، عــن أبــي الكنــود، عــن

[1] تفسير البغوي 288/4
[2] التحرير والتنوير 27/27
[3] الكشف والبيان عن تفسير القرآن 120/9
[4] رواه ابن أبي حاتم برقم 15863
[5] تفسير ابن كثير 232/7
[6] رواه الطبري 331/20
[7] نفس المرجع

خبـــــــــاب ﴿وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا﴾ **قـــــــال:« عُيينة، والأقرع»**[1]،

۞وقـــــــال تعـــــــــالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ١٤٩ بَلِ ٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلنَّٰصِرِينَ﴾ [آل عمـــــــــــــــران 150]، فـــدلت الآيـــة أن الطاعـــة مـــن الـــولاء فمـــن أطـــاع الطواغيـــت فقـــد اتخـــذهم أوليـــاء مـــن دون الله كمـــا فـــي قولـــه: ﴿ بَلِ ٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡ﴾ وكمـــا قـــال الله تعـــالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينًا﴾ [النســـــاء 144] ، وقـــــال تعـــــــالى: ﴿ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيۡطَٰنَ وَلِيّٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدۡ خَسِرَ خُسۡرَانٗا مُّبِينٗا﴾[النساء 11] قـــال الواحـــدي:" **يريـــد مـــن يُطعـــه فيمـــا يـــدعو إليـــه مـــن الضـــلال، فكـــل مـــن أطاعـــه فهـــو ولـــي لـــه** وإن لـــم يقصـــد أن يتـــولاه، كمـــا يكـــون مطيعـًــا لـــه وإن لـــم يقصـــد أن يطيعـــه، بموافقتـــه لإرادتـــه وإجابتـــه إلـــى مـــا دعـــاه إليـــه، فهـــو يعمـــل عمـــلًا يُعينـــه عليـــه الشـــيطان، وكـــان الشـــيطان لـــه وليًـــا ناصـــرًا معينًـــا"[2]، وقـــال ابـــن المنـــذر: "أجمـــع كـــلُّ مَـــن يُحفَـــظ عنـــه مِـــن أهـــل العلـــم أنَّ الكـــافر لا ولايـــةَ لـــه علـــى المســـلم بِحـــال"[3]، وفيـــه دلالـــة علـــى الـــتلازم بـــين الطاعـــة والولايـــة، فمـــن أثبـــت للطـــاغوت حـــق الأمـــر وأوجـــب لـــه الطاعـــة أو أذن بهـــا، فقـــد جعـــل مـــن الطـــاغوت ولـــي أمـــره وأقـــر بســـلطانه عليـــه ودخل في دينه.

وأمـــر الله عـــزَوجـــل بطاعـــة أولـــي الأمـــر الشـــرعي فـــي المعـــروف كالأولياء والآباء والأزواج.

ولقـــد أمـــر الله وأذن فـــي طاعـــة أوليـــاء أمـــور المســـلمين فـــي غيـــر معصـــية الله، وأَجْمَـــعَ الْمُسْـــلِمونَ عَلَـــى أَنَّـــهُ لَا طَاعَـــةَ لِأَوليـــاء الأمـــور وَلَا غَيْـــرِهِم فِـــي مَعْصِـــيَةِ اللَّهِ

[١] تفسير الطبري 8/18

[٢] التفسير البسيط للواحدي 105/7

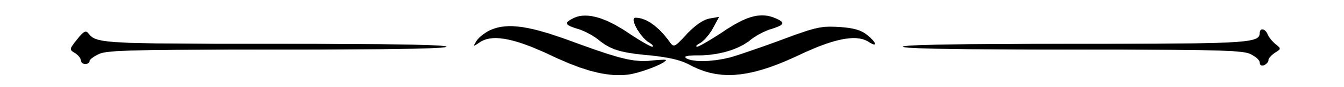
[٣] نقله عنه ابن القيم في "أحكام أهل الذِّمَّة" (2/ 7877)

تَعَالَى. وَقَدْ جَاءَتْ بِذَلِكَ الْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ الصَّرِيحَةُ الَّتِي لَا لَبْسَ فِيهَا وَلَا مَطْعَنَ كَحَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: ﴿السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِنْ أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ﴾[1]، "وَقَالَ خُضَيْرٌ السُّلَمِيُّ لِعُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ وَقَدْ حَدَّثَهُ بِهَذَا الْحَدِيثِ أَرَأَيْتَ إِنْ أَطَعْتُ أَمِيرِي فِي كُلِّ مَا يَأْمُرُنِي بِهِ قَالَ يُؤْخَذُ بِقَوَائِمِكَ فَتُلْقَى فِي النَّارِ وَلْيَجِئْ هَذَا فَيُنْقِذُكَ"[2]، وقال في التمهيد:" وَأَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ مَنْ أَمَرَ بِمُنْكَرٍ لَا تَلْزَمُ طَاعَتُهُ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾ [المائدة 2] [3]، وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ فِي السَّرِيَّةِ الَّذِينَ أَمَرَهُمْ أَمِيرُهُمْ أَنْ يَدْخُلُوا فِي النَّارِ: ﴿لَوْ دَخَلُوهَا مَا خَرَجُوا مِنْهَا أَبَدًا ; إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ﴾[4]، "قال محمد بن جرير: في حديث علي وحديث ابن عمر البيان الواضح عن نهي الله على لسان رسوله عباده عن طاعة مخلوق في معصية خالقه، سلطانًا كان الآمر بذلك أو سوقة أو والدًا أو كائنًا من كان، فغير جائز لأحد أن يطيع أحدًا من الناس في أمر قد صح عنده نهي الله عنه، فإن ظن ظان أن في قوله ﷺ في حديث أنس: ﴿اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي﴾ وفي قوله في حديث ابن عباس : ﴿من رأى من أميره شيئًا يكرهه فليصبر﴾ حجة لمن أقدم على معصية الله بأمر سلطان أو غيره، وقال: قد وردت الأخبار بالسمع والطاعة لولاة الأمر فقد ظن خطئًا، وذلك أن أخبار رسول الله ﷺ لا يجوز أن تتضاد، ونهيه وأمره لا يجوز أن يتناقض أو يتعارض، وإنما الأخبار الواردة بالسمع والطاعة لهم ما لم يكن خلافًا لأمر

[١]رواه البخاري برقم 7144 ومسلم برقم 1839
[٢] الاستذكار 15/5
[٣] التمهيد 277/23
[٤] رواه البخاري برقم 7145 ومسلم برقم 1840

الله وأمــر رســوله، فــإذا كــان خلافًــا لــذلك فغيــر جــائز لأحــد أن يطيــع أحــدًا فــي معصية الله ومعصية رسوله، **وبنحو ذلك قال عامة السلف**"[1].

وَقــال تعــالى: ﴿وَلَا يَعۡصِينَكَ فِي مَعۡرُوفٖ﴾[الممتحنــة 12] ، قــال ابــن زيــد فــي قولــه: ﴿وَلَا يَعۡصِينَكَ فِي مَعۡرُوفٖ﴾:« إن رســول الله ﷺ نبيّــه وخيرتــه مــن خلقــه، ثــم لــم يســتحلّ لــه أمــر إلا بشــرط، لــم يقــل لا يَعْصِــينَكَ ويتــرك. حتى قــال: فِــي مَعْــرُوفٍ فكيــف ينبغــي لأحــد أن يُطــاع فــي غيــر معــروف وقــد اشــترط الله هــذا علــى نبيه»[2].



[1] شرح صحيح البخاري لابن بطال 215/8
[2] تفسير الطبري 80/28

المطلب الثاني: النصوص الواردة في بيان حد شرك الطاعة

إنَّ الانقياد لله عز وجل بالطاعة ينافيه الانقياد للطواغيت المشرعين: بتحليل الحرام أو تحريم الحلال أو تغيير أحكام الوضع أو إسقاط الواجب مما هو من حكم الشركاء المبدلين، وطاعتهم في ذلك مع قبول التكليف عنهم هو الشرك بالله تعالى في الطاعة[1] ويدل عليه آيات كثيرة:

❁ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأۡكُلُواْ مِمَّا لَمۡ يُذۡكَرِ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسۡقٌۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ﴾ [الأنعام 131]، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَوْلَهُ: «﴿وَإِنَّهُۥ لَفِسۡقٌ﴾ قَالَ: الْفِسْقُ الْمَعْصِيَةُ»[2]، وعنه: «وإن أطعتموهم في أكل ما نهيتكم عنه، إنكم إذًا لمشركون»[3]، وَقَالَ السُّدِّي فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ: «إِنَّ الْمُشْرِكِينَ قَالُوا

[1] ومن يستمسك بكلام الرجال في هذا الباب العظيم ويترك المحكم من التنزيل، فيعتقد أن طاعة المشرعين في المعصية معصية مطلقا إلا مع الاستحلال!!، ويستشهد بكلام المتأخرين فنرد عليه من نفس كلامهم كما في قول ابن تيمية:" والطغيان: مجاوزة الحد؛ وهو الظلم والبغي. فالمعبود من دون الله إذا لم يكن كارها لذلك: طاغوت، ولهذا سمى النبي ﷺ الأصنام طواغيت في الحديث الصحيح لما قال: ﴿ويتبع من يعبد الطواغيت الطواغيت﴾، **والمطاع في معصية الله والمطاع في اتباع غير الهدى ودين الحق - سواء كان مقبولا خبره المخالف لكتاب الله أو مطاعا أمره المخالف لأمر الله - هو طاغوت؛ ولهذا سمي من تحوكم إليه من حاكم بغير كتاب الله طاغوت**" مجموع الفتاوى 291/28، فكيف يكون المطاع طاغوتا والعبد الطائع مسلماً!!،. وقال ابن تيمية:" فالإسلام يتضمن الاستسلام لله وحده، **فمن استسلم له ولغيره كان مشركاً، ومن لم يستسلم له كان مستكبراً عن عبادته،** والمشرك به والمستكبر عن عبادته كافر، **والاستسلام له وحده يتضمن عبادته وحده وطاعته وحده، فهذا دين الإسلام الذي لا يقبل الله عزَّوجلَّ ديناً غيره**" مجموع الفتاوى 91/3 فهذا واضح في أن قبول التكليف من غير الله والخضوع له بالطاعة هو شرك بالله تعالى.

وقولهم أنَّ طاعة المشرعين في المعصية هي معصية مطلقا إلا مع الاستحلال هي عقيدة الأشاعرة التي تأثر بها الكثير من المتأخرين، وهي تجري على أصولهم في باب الإيمان، قال ابن العربي الأشعري: "إنما يكون المؤمن بطاعة المشرك مشركاً: **إذا أطاعه في الاعتقاد** فإن أطاعه في الفعل وعقده سليم مستمر على التوحيد والتصديق فهو عاص فافهموه."، فما هو الفرق بينهم وبين الأشاعرة في هذا الباب العظيم الذي هو من لب وأصل مسألة الإيمان؟

[٢] رواه ابن أبي حاتم برقم 7838

[٣] رواه الطبري في تفسيره برقم 13815

لِلْمُـؤْمِنِينَ: كَيْـفَ تَزْعُمُـونَ أَنَّكُـمْ تَتَّبِعُـونَ مَرْضَـاةَ اللَّهِ، وَمَـا ذَبَـحَ اللَّهُ فَـلَا تَأْكُلُونَـهُ، وَمَـا ذَبَحْـتُمْ أَنْـتُمْ أَكَلْتُمُـوهُ؟ فَقَـالَ اللَّهُ: ﴿ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ ﴾ **فَـأَكَلْتُمُ الْمَيْتَـةَ** ﴿ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾، وَهَكَـذَا قَالَـهُ مُجَاهِـدٌ، وَالضَّـحَّاكُ، وَغَيْـرُ وَاحِـدٍ مِـنْ عُلَمَـاءِ السَّـلَفِ، رَحِمَهُـمُ اللَّهُ، وَقَوْلُـهُ تَعَـالَى: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾، "أَيْ: حَيْـثُ عَـدَلْتُمْ عَـنْ أَمْـرِ اللَّهِ لَكُـمْ وَشَـرْعِهِ إِلَـى قَـوْلِ غَيْـرِهِ، فَقَـدَّمْتُمْ عَلَيْـهِ غَيْـرَهُ فَهَـذَا هُـوَ الشِّـرْكُ، كَمَـا قَـالَ تَعَـالَى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾[التوبة31]"[1].

ووجـه الدلالـة أن طاعـة المشـرعين فـي أكـل الميتـة يصـير بـه المسـلم مشـركاً بـالتلقي عـنهم وطـاعتهم فـي أكلهـا، وإن كـان أكـل الميتـة فـي ذاتـه معصـية، أمـا طاعـة الطواغيـت المشـرعين فـي أكلهـا وامتثـال أمـرهم ومتـابعتهم علـى التحليـل فهو شرك بالله تعالى.

❁**وقولـه تعـالى**: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾[التوبة31]، وقد ورد في تفسيرها جملة من الآثار:

❁عـن حذيفـة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾، قـال:« لم يعبدوهم، ولكنهم أطاعوهم في المعاصي»[2].

[١] تفسير بن كثير 329/3

[٢] رواه الطبري في تفسيره برقم 16643

❁ وعن السدي: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾، قال عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:« لم يأمروهم أن يسجُدوا لهم، ولكن أمروهم بمعصية الله فأطاعوهم، فسمَّاهم الله بذلك أربابًا»[1].

❁ وعن أبي البختري: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾قال: «انطلقوا إلى حلال الله فجعلوه حرامًا، وانطلقوا إلى حرام الله فجعلوه حلالا فأطاعوهم في ذلك، فجعل الله طاعتهم عبادتهم، ولو قالوا لهم: "اعبدونا"، لم يفعلوا»[2].

---

[١] رواه الطبري برقم 16641

[٢] رواه الطبري برقم 16638

لفظ الاستحلال والتحريم: يُطلق في استعمال الشارع بمعنى الاعتقاد وهو الأصل في الاستعمال الشرعي له، ويطلق ويراد به الاستحلال العملي كما دل على ذلك الكتاب والسنة:

❁ قوله تعالى: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴾[التوبة29]، قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من أصحاب رسوله ﷺ﴿ قَٰتِلُواْ ﴾، أيها المؤمنون، القوم ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾، يقول: ولا يصدّقون بجنة ولا نار ﴿ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ ﴾، يقول: **ولا يطيعون الله طاعة الحقّ، يعني: أنهم لا يطيعون طاعةَ أهل الإسلام**" تفسير الطبري 198/14

وقال أبو حفص سراج الدين الحنبلي قوله: ﴿ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ﴾ أي: لا يُحرِّمُون ما حرَّم الله في القرآن، وبينه الرسول، وقال أبو زيدٍ: **لا يعملون بما في التوراة والإنجيل**، بل حرفوهما وأتوا بأحكام كثيرة من قبل أنفسهم، وقوله ﴿وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ ﴾أي: لا يدينون الدِّين الحق، أضاف الاسم إلى الصِّفةِ وقال قتادة: «الحَقّ» هو الله - عزَّ وجلَّ -؛ أي: لا يدينون دين الله، ودينه الإسلام. قال أبو عبيدة: معناه: لا يطيعون الله طاعة أهل الحقّ". اللباب في علوم الكتاب 64/10

❁ ولفظ التحريم قد يأتي ويراد به العمل كترك العمل لنذر أو يمين أو رهبانية وتديُّن كما في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾[المائدة87]، عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ ﴾ قَالَ: «نَزَلَتْ فِي أُنَاسٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَرَادُوا أَنْ يَتَخَلَّوْا مِنَ الدُّنْيَا وَيَتْرُكُوا النِّسَاءَ، مِنْهُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَعُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ» رواه عبد الرزاق برقم 718 . فقوله تعالى ﴿ لَا تُحَرِّمُواْ ﴾ ليس المقصود منه التحريم العقدي وهو اعتقاد أن هذا العمل حرام في دين الله، فهذا غير وارد ولا يقع من هؤلاء السابقين الأولين بل المراد هو الترك والتخلي الذي هو العمل، لأن الترك عمل كما في قوله تعالى:﴿لَوۡلَا يَنۡهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ عَن قَوۡلِهِمُ ٱلۡإِثۡمَ وَأَكۡلِهِمُ ٱلسُّحۡتَۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ﴾[المائدة63] ، فترك النهي عن المنكر من الأحبار والربانيين سماه الله عملاً بقوله:﴿ مَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ﴾.

❁ ومن السنة حديث الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: مَرَّ بِي عَمِّي الْحَارِثُ بْنُ عَمْرٍو وَمَعَهُ لِوَاءٌ قَدْ عَقَدَهُ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ، فَقُلْتُ لَهُ: أَيْ عَمِّ، أَيْنَ بَعَثَكَ النَّبِيُّ ﷺ؟ قَالَ: " بَعَثَنِي إِلَى رَجُلٍ تَزَوَّجَ امْرَأَةَ أَبِيهِ، فَأَمَرَنِي أَنْ أَضْرِبَ عُنُقَهُ "رواه أحمد برقم 18579وأخرجه سعيد بن منصور (942) ، وابن ماجه (2607) ، وأبو يعلى (1666) ، ، والطبراني في "الكبير" (3405). قال الطحاوي:" وَهُوَ أَنَّ ذَلِكَ الْمُتَزَوِّجَ فَعَلَ مَا فَعَلَ مِنْ ذَلِكَ عَلَى الِاسْتِحْلَالِ كَمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَصَارَ بِذَلِكَ مُرْتَدًّا، فَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يُفْعَلَ بِهِ مَا يُفْعَلُ بِالْمُرْتَدِّ" شرح معاني الآثار 149/3

وقد يطلق التحليل والتحريم في اصطلاح العلماء ويراد به العمل فلفظ أحلوه أو حرموه ليس معناه الاعتقاد في كل إطلاقاته بمعنى العلم بصحة شيء والإخبار عنه، بل قد يراد به العمل بمقتضى تحريمهم وتحليلهم من الحكم به والطاعة له والتحاكم إليه ... الخ، ومن تلك الاطلاقات:

❁ بوب ابن حبان في صحيحه: ذِكْرُ الْإِخْبَارِ عَمَّا يَجِبُ عَلَى الْمَرْءِ مِنْ **اسْتِحْلَالِ النُّصْرَةِ** عَلَى أَعْدَاءِ اللَّهِ الْكَفَرَةِ بِالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ فِي دَارِ الْإِسْلَامِ وروى بسنده عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ فَعَرَفْتُ فِي وَجْهِهِ أَنْ قَدْ حَضَرَهُ شَيْءٌ فَتَوَضَّأَ وَمَا كَلَّمَ أَحَدًا ثُمَّ خَرَجَ فَلَصِقْتُ بِالْحُجْرَةِ أَسْمَعُ مَا يَقُولُ فَقَعَدَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ لَكُمْ مُرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ قَبْلَ أَنْ تَدْعُونِي فَلَا أُجِيبُكُمْ وَتَسْأَلُونِي فَلَا أُعْطِيكُمْ وَتَسْتَنْصِرُونِي فَلَا أنصركم﴾ رواه ابن حبان برقم 290، فأطلق على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو عمل استحلالاً للنصرة.

❁عَنْ فُضَيْلِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: " كَانَ إِبْرَاهِيمُ وَأَصْحَابُنَا **يَسْتَحِلُّونَ** الْكَلَامَ فِي الْجُمُعَةِ وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يُصَلُّونَ الظُّهْرَ قَبْلَ أَنْ يَأْتُوهُمْ قَالَ الْمُغِيرَةُ: وَكَانَ أَبُو وَائِلٍ يُصَلِّي الْأُولَى وَالْعَصْرَ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ الْجُمُعَةَ فِي إِمَارَةِ الْحَجَّاجِ لِأَنَّهُ كَانَ يُؤَخِّرُهَا " رواه المروزي برقم 1057 فأُطلق على كلامهم في الجمعة الذي هو عمل استحلالاً.

وليس الاستحلال والتحريم الوارد في بعض الآثار في هذا الباب محصور في الاستحلال العقدي بل منه الاستحلال العملي، كمثل ما رواه ابن أبي حاتم برقم 7849 قال حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَةَ ثنا يَحْيَى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ حَدَّثَنِي ابْنُ لَهِيعَةَ حَدَّثَنِي عَطَاءٌ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَوْلَهُ: وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ يَعْنِي اسْتِحْلالا فِي أَكْلِ الْمَيْتَةِ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ مِثْلَهُمْ"، **والأثر ضعيف فيه ابن لهيعة** ولا يثبت في هذه الآية- آية الانعام .لفظ الاستحلال كما وردفي روايات تفسير آية التوبة، ومن ذلك ما رواه الطبري برقم 16638 – قال حدثني الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا الثوري، عن حبيب بن أبي ثابت، عن أبي البختري قال: سأل رجل حذيفة فقال: يا أبا عبد الله، أرأيت قوله: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾، أكانوا يعبدونهم؟ قال: لا كانوا إذا أحلُّوا لهم شيئًا استحلُّوه، وإذا حرّموا عليهم شيئًا حرّموه» وهذه الآثار ظاهرة في الاستحلال العملي أي قبول التحليل والتحريم من هؤلاء الطواغيت والعمل بمقتضى ذلك التشريع، **وحتى وإن حملناه على الاستحلال العقدي فليس في هذه الآثار تقييد للآية أو تخصيص لإطلاقها بل هو من باب ذكر بعض أفراد الشيء، أي التفسير بذكر بعض أفراد العام،** حيث أن حذيفة ذكر بعض الصور التي تكون فيها الطاعة كفراً وهي المتابعة على الاعتقاد - وليس هو حصرٌ للطاعة في الاعتقاد - كما أنه نُقل عنه ذكر مناط مطلق المتابعة فلتنتبه، فإن اللفظ الوارد في السنة هو الاتباع ومعناه قبول التكليف والدخول في العمل كما في الحديث:« فَقَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة 31]، قَالَ: فَقُلْتُ: إِنَّهُمْ لَمْ يَعْبُدُوهُمْ. فَقَالَ: « بلَى، إِنَّهُمْ حَرَّمُوا عَلَيْهِمُ الْحَلَالَ، وَأَحَلُّوا لَهُمُ الْحَرَامَ، **فَاتَّبَعُوهُمْ**، فَذَلِكَ عِبَادَتُهُمْ إِيَّاهُمْ»، وَهَكَذَا قَالَ حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ، وَغَيْرُهُمَا فِي تَفْسِيرِ: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ **إِنَّهُمُ اتَّبَعُوهُمْ** فِيمَا حَلَّلُوا وَحَرَّمُوا»" تفسير بن كثير 135/3.

فمن أحلَّ وحرَّم هم الطواغيت والأرباب ـــ الأحبار والرهبان ـــ أما جملة النصارى فكفرهم هنا على أوجه: فمنهم من تابع في الاعتقاد كالأميين ، ومنهم من كفر من جهة الاتِّباع وقبول التكليف والعمل بهذا التشريع، **ومن اشترط الاعتقاد أي اعتقاد حل الحرام أوحرمة الحلال للتابع وقيد الآية والحديث به فقد استدرك على الشرع وليس في النصوص الواردة في شرك الطاعة ما فيه دلالة على حصرها في الاستحلال العقدي، وهذا هو اعتقاد الأشاعرة ومن تأثربهم من**

۞ وعن الحسن: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾، قال: في الطاعة» [1].

۞ وعن الربيع بن أنس، عن أبي العالية: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾، قال: قلت لأبي العالية: كيف كانت **الرُّبوبية** التي كانت في بني إسرائيل؟ قال: «ما أمرونا به ائتمرنا، وما نهونا عنه انتهينا لقولهم، وهم يجدون في كتاب الله ما أمروا به وما نهوا عنه، فاستنصحوا الرجالَ، ونبذُوا كتاب الله وراء ظهورهم» [2].

ويقول النسفي في تفسير قوله تعالى ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا﴾: آلهة ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ حيث أطاعوهم في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله، كما يطاع الأرباب في أوامرهم ونواهيهم" [3].

وقال ابن حزم:" فَلَمَّا كَانَ الْيَهُود وَالنَّصَارَى يحرمُونَ مَا حرم أَحْبَارهم وَرُهْبَانهمْ وَيحلونَ مَا أحلُّوا **كَانَت هَذِه ربوبية صَحِيحَة وَعبادَة صَحِيحَة قد**

المتأخرين، فقولهم أن طاعة المشرعين في المعصية هي معصية مطلقا إلا مع الاستحلال هي عقيدة الأشاعرة التي تأثر بها الكثير من المتأخرين، وهي تجري على أصولهم في باب الإيمان كما بينا ولا مستمسك لهم من الآثار.

وإن كان بعض الأشاعرة لم يحصرها في الاستحلال كما ذكر ذلك النسفي في تفسير قوله تعالى ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا﴾: آلهة ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ حيث أطاعوهم في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله، **كما يطاع الأرباب في أوامرهم ونواهيهم".**

والأثار لا يقيد بعضها بعضا فقد وردت مطلقة غير مقيدة بالاستحلال كما نقلنا في حد شرك الطاعة وهو فهم علماء الدعوة النجدية كما قال محمد بن عبد الوهاب:" النوع الثالث: شرك الطاعة، والدليل عليه قوله تعالى: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِداً لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} [سورة التوبة آية: 31] ، وتفسيرها الذي لا إشكال فيه، هو طاعة العلماء والعباد في معصية الله سبحانه، لا دعاؤهم إياهم، كما فسرها رسول الله صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم، لما سأله فقال لسنا نعبدهم فذكر له أن عبادتهم طاعتهم في المعصية" ونقلنا كلام عبد الرحمن بن حسن.

[1] **رواه الطبري برقم** 16639

[2] **رواه الطبري في تفسيره برقم** 16642

[3] **مدارك التنزيل وحقائق التأويل** 676/1

دانوا بهَا وسمى الله تَعَالَى هَذَا الْعَمَل اتِّخَاذ أَرْبَابًا من دون الله وَعبادَة **وَهَذَا هُوَ الشّرك بِلَا خلاف**"[1].

وقال عبد الرحمن بن حسن: "فظهر بهذا أن الآية[2] دلت على أن من أطاع غير الله ورسوله، وأعرض عن الأخذ بالكتاب والسنة في تحليل ما حرم الله، أو تحريم ما أحله الله، وأطاعه في معصية الله، واتبعه فيما لم يأذن به الله، **فقد اتخذه ربا ومعبودا وجعله لله شريكا، وذلك ينافي التوحيد الذي هو دين الله** الذي دلت عليه كلمة الإخلاص "لا إله إلا الله"، فإن الإله هو المعبود، وقد سمى الله تعالى طاعتهم عبادة لهم، وسماهم أربابا، كما قال تعالى: ﴿ وَلَا يَأۡمُرَكُمۡ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرۡبَابًاۗ ﴾[آل عمران:80] أي شركاء لله تعالى في العبادة ﴿ أَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡكُفۡرِ بَعۡدَ إِذۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾[آل عمران:80] وهذا هو الشرك. فكل معبود رب، وكل مطاع ومتبع على غير ما شرعه الله ورسوله فقد اتخذه المطيع المتبع ربا ومعبودا، كما قال تعالى في آية الأنعام: ﴿وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ ﴾، وهذا هو وجه مطابقة الآية للترجمة[3]، ويشبه هذه الآية في المعنى قوله تعالى: ﴿أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَـٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾[الشورى 21] والله أعلم"[4].

وقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ ﴾[آل عمران:64]، قال ابن جريج: ﴿ وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ ﴾، يقول:« لا يطع بعضُنا بعضًا في معصية الله. ويقال إنّ تلك الرُّبوبية: أن يطيعَ الناس سادَتهم وقادتهم في غير عبادة، وإن لم يصلُّوا لهم»[5].

[1] الفصل في الملل 135/3

[٢] قوله تعالى:﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾

[٣] باب: " من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله، فقد اتخذهم أربابا من دون الله"

[٤] فتح المجيد في شرح كتاب التوحيد 105/1

[٥] رواه الطبري في تفسيره برقم 7200

وقال الطبري وقوله ﴿ وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾: يقول: **ولا يدين بعضُنا لبعض بالطاعة** فيما أمر به من معاصي الله، ويعظِّمه بالسجود له كما يسجدُ لربه"[1].

قلت: وقوله: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا﴾، وقوله ﴿ وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ يدل على أن الاتخاذ والدينونة هو من صفة شرك الطاعة وهو قبول التكليف عنهم في التحليل والتحريم كما قال البقاعي:" ولما كان المراد بالمشركين مع عباد الأوثان أهل الكتاب **الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله لقبولهم منهم التحليل والتحريم،** كان ذلك مفهماً لأنهم فارقوا أهل الطاعة، وكان ذلك موهماً لأنهم ما فارقوهم إلا عن جهل"[2].

❁ **وقوله تعالى:** ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [البقرة 165]، قال السدي:« الأنداد من الرجال، يطيعونهم كما يطيعون الله، إذا أمروهم أطاعوهم وعَصَوا الله»[3].

❁ **وقوله تعالى:** ﴿ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[البقرة22]، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وعن مُرَّة عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ: ﴿ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا ﴾قال:« أكفَّاءً من الرجال تطيعونهم في معصية الله»[4]، وقال الطبري: فنهاهم الله تعالى أن يُشركوا به شيئًا، وأن يعبدوا غيرَه، **أو يتخذوا له نِدًّا وَعِدلا في الطاعة**، فقال: كما لا شريك لي في خلقكم، وفي رزقكم الذي أرزقكم وملكي إياكم، ونعمي التي أنعمتها عليكم

[١] **تفسير الطبري** 483/6
[2] **نظم الدرر** 268/17
[٣] **تفسير الطبري** برقم 2411
[٤] **رواه الطبري** 482

فكـــذلك فـــأفردوا لـــيَ الطاعـــة، وأخلصُـــوا لـــيَ العبـــادة، ولا تجعلـــوا لـــي شـــريكًا ونِدًّا من خلقي، فإنكم تعلمون أن كلّ نعمةٍ عليكم فمنّي"[1].

وقولـــــه تعـــــالى: ﴿ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦۚ قُلۡ تَمَتَّعۡ بِكُفۡرِكَ قَلِيلًاۖ ﴾ [الزمر 8]، قال السديّ:« الأنداد من الرجال: يطيعونهم في معاصي الله» [2].

وقولـــــه تعـــــالى: ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعـراف 3]، قـــال البغـــوي: أَيْ:" لَا تَتَّخِـــذُوا غَيْـــرَهُ أَوْلِيَـــاءَ تُطِيعُـــونَهُمْ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى"[3] .

ومـــن السنـــة: مـا رواه التِّرْمِـذِيُّ، وَابْـنُ جَرِيـرٍ وغيـرهم مِـنْ طُـرُقٍ، عَـنْ عَـدِيِّ بْـنِ حَـاتِمٍ، رَضِـيَ اللَّهُ عَنْـهُ، أَنَّـهُ لَمَّـا بَلَغَتْـهُ دَعْـوَةُ رَسُـولِ اللَّهِ ﷺ فـرَّ إِلَـى الشَّـامِ، وَكَـانَ قَـدْ تَنَصَّـرَ فِي الْجَاهِلِيَّـةِ، فَأُسِـرَتْ أُخْتُـهُ وَجَمَاعَـةٌ مِـنْ قَوْمِـهِ، ثـمَّ مـنَّ رَسُـولِ اللَّهِ ﷺ عَلَـى أُخْتِـهِ وَأَعْطَاهَـا، فَرَجَعَـتْ إِلَـى أَخِيهَـا، ورَغَّبتـه فِـي الْإِسْـلَامِ وَفِـي الْقُـدُومِ عَلَـى رَسُـولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَـدِمَ عَـدِيّ الْمَدِينَـةَ، وَكَـانَ رَئِيسًـا فِـي قَوْمِـهِ طَيِّـئٍ، وَأَبُـوهُ حَـاتِمٌ الطَّـائِيُّ الْمَشْـهُورُ بِـالْكَرَمِ، فتحـدَّث النَّـاسُ بِقُدُومِـهِ، فَـدَخَلَ عَلَـى رَسُـولِ اللَّهِ ﷺ وَفِـي عُنُـقِ عَـدِيّ صَـلِيبٌ مِـنْ فِضَّـةٍ، فَقَـرَأَ رَسُـولُ اللَّهِ ﷺ هَـذِهِ الْآيَـةَ: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبـة 31]، قَـالَ: فَقُلْـتُ: إِنَّهُـمْ لَـمْ يَعْبُـدُوهُمْ. فَقَـالَ: « بلَـى، إِنَّهُـمْ حَرَّمُـوا عَلَـيْهِمُ الْحَـلَالَ، وَأَحَلُّـوا لَهُـمُ الْحَرَامَ، **فَاتَّبَعُوهُمْ، فَذَلِكَ عِبَادَتُهُمْ إِيَّاهُمْ**»"[4].

---

[1] **تفسير الطبري** 370/1

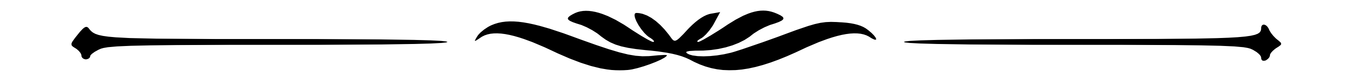
[٢] **تفسير الطبري** 264/21

[٣] **معالم التنزيل في تفسير القرآن** 213/3

[4] سنن الترمذي برقم 3095وتفسير الطبري 209/14، وروى الطبري في تفسيره آثارا في الباب فقال:

حـدثني الحسـين بـن يزيـد الطحّـان قـال، حـدثنا **عبـد السـلام بـن حـرب الملائـي**، عـن غطيـف بـن أعـين، عـن مصـعب بـن سـعد، عـن عـدي بـن حـاتم قـال: انتهيـتُ إلـى النبـي ﷺ وهـو يقـرأ فـي "سـورة بـراءة": ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾، فقال: "أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكن كانوا يحلّون لهم فيُحلُّون".

ولفظ المتابعة يَرِدُ على الموافقة في الظاهر دون الباطن، وليس هو المتابعة على الاعتقاد كما يفسره به الأشاعرة، بل فهم السلف للمتابعة إنما هو على الموافقة في الظاهر كما قَالَ قَتَادَةُ: أَخَذَ بَنُو الْمُغِيرَةِ عَمَّارًا وَغَطَّوْهُ فِي بِئْرِ مَيْمُونٍ، وَقَالُوا لَهُ: اكْفُرْ بِمُحَمَّدٍ **فَتَابَعَهُمْ عَلَى ذَلِكَ وَقَلْبُهُ كَارِهٌ**، فَأُخْبِرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِأَنَّ عَمَّارًا كَفَرَ فَقَالَ: ﴿كَلَّا إِنَّ عمارا ملىء إِيمَانًا مِنْ قَرْنِهِ إِلَى قَدَمِهِ، وَاخْتَلَطَ الْإِيمَانُ بِلَحْمِهِ وَدَمِهِ» فَأَتَى عَمَّارٌ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَبْكِي، فَقَالَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «مَا وَرَاءَكَ» ؟ قَالَ: شَرٌّ يا رسول الله إني نلت منك وذكرت آلهتهم بخير، قَالَ: «كَيْفَ وَجَدْتَ قَلْبَكَ» قَالَ: مُطْمَئِنًّا بِالْإِيمَانِ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَمْسَحُ عَيْنَيْهِ وَقَالَ: إِنْ عَادُوا لَكَ فَعُدْ لَهُمْ بِمَا قُلْتَ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ﴾[1].



وفيه "الحسين بن يزيد السبيعي الطحان "، شيخ الطبري، وثقه ابن حبان، ولين حديثه أبو حاتم، مضى برقم: 2892، 7863، 9153. وكان في المطبوعة والمخطوطة: " الحسن بن يزيد "، وهو خطأ "

۞ وقال الطبري حدثنا أبو كريب وابن وكيع قالا حدثنا مالك بن إسماعيل وحدثنا أحمد بن إسحاق قال، حدثنا أبو أحمد جميعًا، عن عبد السلام بن حرب قال، حدثنا غطيف بن أعين، عن مصعب بن سعد، عن عدي بن حاتم قال: أتيت رسولَ الله ﷺ وفي عُنُقي صليبٌ من ذهب، فقال: يا عديّ، اطرحِ هذا الوثنَ من عنقك! قال: فطرحته، وانتهيت إليه وهو يقرأ في "سورة براءة"، فقرأ هذه الآية: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾، قال قلت: يا رسول الله، إنا لسنا نعبدُهم! فقال: أليس يحرِّمون ما أحلَّ الله فتحرِّمونه، ويحلُّون ما حرَّم الله فتحلُّونه؟ قال: قلت: بلى! قال: فتلك عبادتهم! واللفظ لحديث أبي كريب.

۞ وقال الطبري حدثني سعيد بن عمرو السكوني قال: حدثنا بقية، عن قيس بن الربيع، عن عبد السلام بن حرب النهدي، عن غضيف، عن مصعب بن سعد، عن عدي بن حاتم قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ "سورة براءة"، فلما قرأ: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾، قلت: يا رسول الله، إما إنهم لم يكونوا يصلون لهم! قال: صدقت، ولكن كانوا يُحلُّون لهم ما حرَّم الله فيستحلُّونه، ويحرّمون ما أحلّ الله لهم فيحرِّمونه".

والخلاصة أن حديث عدي بن حاتم الطائي حديث ضعيف رواه أبو جعفر من ثلاث طرق كلها من طريق عبد السلام بن حرب، عن غطيف بن أعين برقم 16631 – 16633، وهما ضعيفان قال الترمذي:" قَالَ: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا يُعْرَفُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ حَرْبٍ. وَغُطَيْفُ بْنُ أَعْيَنَ لَيْسَ بِمَعْرُوفٍ فِي الْحَدِيثِ.

[1] تفسير البغوي 98/3

المطلب الثالث: الفرق بين العبادة والطاعة

الطاعة في اللغة: هي الانقياد، قال الخليل الفراهيدي: والطّاعة اسم لما يكون مصدره الإطاعة، وهو الانقياد، والطّواعِيَةُ اسم لما يكون مصدره المطاوعة. يقال: طاوعتِ المرأة زوجَها طَواعيةً حَسَنةً، ولا يقال: للرعيّة ما أحسن طَواعِيَتَهُم للرّاعي، لأنّ فعلَهم الإطاعة، وكذلك الطّاقة اسم الإطاقة والجابة اسم الإجابة"[1]، وقال ابن فارس: الطَّاءُ وَالْوَاوُ وَالْعَيْنُ أَصْلٌ صَحِيحٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى الْإِصْحَابِ وَالِانْقِيَادِ. يُقَالُ: طَاعَهُ يَطُوعُهُ، إِذَا انْقَادَ مَعَهُ وَمَضَى لِأَمْرِهِ. وَأَطَاعَهُ بِمَعْنَى طَاعَ لَهُ. وَيُقَالُ لِمَنْ وَافَقَ غَيْرَهُ: قَدْ طَاوَعَهُ"[2].

وقال الراغب الأصبهانيُّ : "الطَّوْعُ: الانقيادُ، ويُضادُّه الكَرْهُ، قَالَ الله عزَّ وجَلَّ: ائْتِيا طَوْعاً أو كَرْهاً! والطَّاعَةُ مثلُه، لكِنْ أَكثَرُ مَا يُقال فِي الائتِمارِ لِما أُمِرَ، والارتِسامِ فِيمَا رُسِمَ "[3]، وقال الجوهري:" وطاعَ له يطوعُ، إذا انقاد"[4].

وأما العبادة في اللغة هي الطاعة مع الخضوع، أو قل: الانقياد مع الخضوع، قال أبو منصور:" وَمعنى الْعِبَادَة فِي اللُّغَة: الطَّاعَة مَعَ الخضوع. وَيُقَال طريقٌ مُعَبَّدٌ إِذا كَانَ مذلَّلاً بِكَثْرَة الْوَطْء، وبعيرٌ مُعَبَّد إِذا كَانَ مَطْليًّا بالقَطِران"[5]، وقيل ايضاً: "هي الانقياد والخضوع"[6].

وقال البغوي:" وَمَعْنَى الْعِبَادَةِ فِي اللُّغَةِ: التَّذَلُّلُ وَالِانْقِيَادُ"[7].

وقال الثعلبي:" وأصلها الخضوع والانقياد والطاعة والذلة، يقال: طريق معبّد إذا كان مذللا موطوء بالأقدام، قال طرفة:

تبارى عتاقا ناجيات وأتبعت وظيفا وظيفا فوق مور معبّد

وبعير معبد إذا كان مطليا بالقطران، وقال طرفة:

---

[1] العين 209/2

2 مقاييس اللغة 3/ 431

3 تاج العروس 21/ 462

4 الصحاح 1255/3

[٥] تهذيب اللغة 138/2

[٦] المصباح المنير للفيومي ص / 389 مادة عبدت.

[٧] تفسير البغوي 288/4.

إلـى أن تحـامتني العشـيرة كلّهـا   وأفـردت إفـراد البعيـر المعبّـد

وسـمّي العبـد عبـدا لذلّتـه وانقيـاده لمـولاه"[1]، **وعليـه فالطاعـة في اللغـة أعـم من العبادة** حيث أن العبادة هي الطاعة مع الخضوع والذل.

وأمـا الطاعـة في الشـرع: فهـي امتثـال الأمْـر اختيـاراً وعـدم المُخَالفـة لـه، وقيـل: "والطاعـة: الفعـلُ الواقـعُ علـى حسـب مـا أراده المريـد"[2]، وقيـل: "الطَّاعَـةَ هِـيَ مُوَافَقَـةُ الْأَمْـرِ الـدِّينِيِّ الشَّـرْعِيِّ"[3]، **وأمـا العبـادة فـي الشـرع**: فهـي: "الخضـوعُ لله بالطاعـة، والتـذلل لـه بالاسـتكانة"[4]، فالعبـادة فـي الشـرع هـي طاعـة مـع خضـوع واسـتكانة وتـذلل فصـارت اسـمًا لكـلِّ طاعـةٍ لله أُدِّيـت لـه علـى وجـه الخضـوع ... **فتـرى أن العبـادة أخـص مـن الطاعـة فـي المعنـى اللغـوي والشـرعي** كـذلك، قـال أبـو هـلال العسـكريُّ:" الْفـرق بَـين الْعِبَـادَة وَالطَّاعَـة: أَن الْعِبَـادَة غَايَـة الخضـوع وَلَا تسْـتَحق إِلَّا بغايـة الإنعـام وَلِهَـذَا لَا يجـوز أَن يعبـد غيـر الله تَعَـالَى وَلَا تكـون الْعِبَـادَة إِلَّا مَـعَ الْمعرفَـة بـالمعبود وَالطَّاعَـة الْفِعْـل ذَلِـك الْوَاقِـع علـى حسـب مَـا أَرَادَهُ المريـد مَتـى كَـانَ المريـد أَعلَـى رُتْبَـة مِمَّـن يفعـل ذَلِـك وَتَكـون للخـالق والمخلـوق وَالْعِبَـادَة لَا تكـون إِلَّا للخـالق وَالطَّاعَـة فِـي مجَـاز اللُّغَـة تكـون اتِّبَـاع الْمَـدْعُو الـدَّاعِي إِلَـى مَـا دَعَـاهُ إِليـه وان لـم يقْصـد التبـع كالإنسـان يكـون مُطيعًا للشَّيْطَان وَإِن لم يقْصد أَن يطيعه وَلكنه اتبع دَعَاهُ وارادته"[5].

وأمـا جعـل الطاعـة مرادفـة للعبـادة مـن كـل وجـه فهـو يجـري علـى تأصـيل الخـوارج كمـا ذكـر عـنهم القاضـي أبـو يعلـى الحنبلـيّ:" حيـث احتجُّـوا بـأن جميـع المعاصـي طاعـة لإبلـيس، لأنـه يـدعو إلـى جميعهـا، وطاعتـه عبـادة لـه، ولا يكـون ذلـك إلا كفـرًا، والجـواب: أنـه لـيس إذا كـان طاعـةً لـه؛ كـان عبـادة، لأن العبـادة هـي الخضـوع والتعظـيم والإجـلال، وهـذا غيـر موجـود ممـن أطـاع إبلـيس، يُبـيِّنُ صـحة هـذا أنـه لـيس كـل طاعـة لله؛ هـي عبـادة لـه، كـالنظر في معرفـة الله قبـل

---

[1] الكشف والبيان عن تفسير القرآن 118/1

[2] الفروق 213/1.

[3] شرح العقيدة الطحاوية 235/1

[4] تفسير الطبري

[5] الفروق 213/1.

لزومها، ولأن هذا يوجب أن تكون طاعة الولد لوالده عبادة له، لأنه قد أطاعه، وأحدٌ لا يقول هذا"[1].

لذلك نقول أنَّ الطاعة تكون عبادةً لغير الله ـ من المشرعين والأرباب ـ في صورة الانقياد مع الخضوع وهي صورة قبول التكليف مع الدخول في العمل، فلابد من وجود القبول للتكليف الذي هو في معنى اتخاذ الأرباب والتلقي عنهم والدخول في العمل الذي هو امتثال الأمر من هؤلاء الطواغيت في مخالفة الشريعة، فخرج بذلك صورة مطلق الموافقة من غير خضوع، وهي صورة المسلم الذي يعيش تحت سلطان الطواغيت فتجري عليه الأحكام قهراً دون اختيار أو قبول للتكليف فهذا لا يكون شركاً في الطاعة وله حكمه باعتبار المخالفة ويدل على ذلك ما يلي:

❁ **قال تعالى:** ﴿ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾[البقرة22]، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وعن مُرَّة عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ: ﴿ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا ﴾قال:« أكفَّاءً من الرجال تطيعونهم في معصية الله»[2]، فالجعل في هذه الآية هو اتخاذ الأرباب كما سبق معنا في آية التوبة وآل عمران، وهم الأكفاء من الرجال والمُتَخذين من دون الله في التلقي، وهذا معتبر في تصور حقيقة شرك الطاعة كما قال تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾، قال الطبري: فنهاهم الله تعالى أن يُشركوا به شيئًا، وأن يعبدوا غيرَه، **أويتخذوا له نِدًّا وَعِدلا في الطاعة**، فقال: كما لا شريك لي في خلقكم، وفي رزقكم الذي أرزقكم وملكي إياكم، ونعمي التي أنعمتها عليكم فكذلك **فأفردوا ليَ الطاعة، وأخلصُوا ليَ العبادة**، ولا

[1] مسائل الإيمان» ضمن: «القاضي أبو يعلى وكتابه مسائل الإيمان 1410، 348.

[٢] رواه الطبري 482

تجعلوا لي شريكًا ونِدًّا من خلقي، فإنكم تعلمون أن كلّ نعمةٍ عليكم فمنّي"[1].

❁ وعن الربيع بن أنس، عن أبي العالية: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾، قال: قلت لأبي العالية: كيف كانت **الرُّبوبية** التي كانت في بني إسرائيل؟ قال: «ما أمرونا به ائتمرنا، وما نهونا عنه انتهينا لقولهم، وهم يجدون في كتاب الله ما أمروا به وما نهوا عنه، فاستنصحوا الرجالَ، ونبذُوا كتاب الله وراء ظهورهم»[2].

فسماها السلف ربوبية وهي الاستسلام للطواغيت في التلقي وقبول التكليف منهم والعدول عن شرع الله إلى شرعهم وأمرهم، وهو المعنى الذي أشار إليه من تأخر كما قال ابن كثير: وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ﴾، "أَيْ: حَيْثُ عَدَلْتُمْ عَنْ أَمْرِ اللَّهِ لَكُمْ وَشَرْعِهِ إِلَى قَوْلِ غَيْرِهِ، فَقَدَّمْتُمْ عَلَيْهِ غَيْرَهُ فَهَذَا هُوَ الشِّرْكُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾[التوبة31]"[3].

وكما قال عبد الرحمن بن حسن: "فظهر بهذا أن الآية[4] دلت على أن من أطاع غير الله ورسوله، وأعرض عن الأخذ بالكتاب والسنة في تحليل ما حرم الله، أو تحريم ما أحله الله، وأطاعه في معصية الله، واتبعه فيما لم يأذن به الله، **فقد اتخذه ربا ومعبودا وجعله لله شريكا، وذلك ينافي التوحيد الذي هو دين الله** الذي دلت عليه كلمة الإخلاص "لا إله إلا الله"، فإن الإله هو المعبود، وقد سمى الله تعالى طاعتهم عبادة لهم، وسماهم أربابا، كما قال

[١] تفسير الطبري 370/1

[٢] رواه الطبري في تفسيره برقم 16642

[٣] تفسير بن كثير 329/3

[٤] قوله تعالى:﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾

تعالى: ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا ﴾ [آل عمران:80] أي شركاء لله تعالى في العبادة ﴿ أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران:80] وهذا هو الشرك. فكل معبود رب، وكل مطاع ومتبع على غير ما شرعه الله ورسوله فقد اتخذه المطيع المتبع ربا ومعبودا، كما قال تعالى في آية الأنعام: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾، وهذا هو وجه مطابقة الآية للترجمة[1].

❁ وقوله: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا﴾، وقوله ﴿ وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾ يدل على أن الاتخاذ والدينونة هو من صفة شرك الطاعة وهو قبول التكليف عنهم في التحليل والتحريم كما قال البقاعي:" ولما كان المراد بالمشركين مع عباد الأوثان أهل الكتاب **الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله لقبولهم منهم التحليل والتحريم،** كان ذلك مفهماً لأنهم فارقوا أهل الطاعة، وكان ذلك موهماً لأنهم ما فارقوهم إلا عن جهل"[2].



[1] باب: " من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله، فقد اتخذهم أربابا من دون الله"

[2] نظم الدرر 268/17

المطلب الرابع: الطاعة هي امتثال الأمر بعد التلقي وقبول التكليف.

إنَّ الطاعة هي اتبَاعُ الأمْر اختياراً وعدم المُخَالفة له، فإذا مَضى وامتثل المكلَّف لأَمرِ المشرّعِ ظاهراً فقد أَطاعَهُ أما إذا وافقَه باطناً وظاهراً فقد طاوَعَهُ، وهي فعلٌ متعلقٌ بأمرٍ[1]، فلا تكون الطاعة إلا بعد ورود الأمر من المشرّعِ وامتثال التكلِيف من المكلَّف، والإتيانُ بالعمل ــ بعد التلقي والقبول للتكليف ــ يسمى طاعة بقطع النظر عن المطاوعة ــ أي الموافقة بالباطن ــ، وورد ذلك في مواضع منها:

❁ قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوۡمَۢا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰهُمۡ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴾[التوبة 115] قال البغوي:"مَعْنَاهُ: ما كان الله ليحكم عليكم بالضلالة **بترك الأوامر** وباستغفاركم للمشركين، ﴿ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ﴾، يُرِيدُ **حَتَّى يَتَقَدَّمَ إِلَيْكُمْ بِالنَّهْيِ، فَإذا بيّن وَلَمْ تَأْخُذُوا بِهِ فَعِنْدَ ذَلِكَ تستحقّون الضلال**، وقال مُجَاهِدٌ: «بَيَانُ اللَّهِ لِلْمُؤْمِنِينَ فِي تَرْكِ الِاسْتِغْفَارِ لِلْمُشْرِكِينَ خَاصَّةً **وَبَيَانُهُ لَهُمْ فِي مَعْصِيَتِهِ وَطَاعَتِهِ عَامَّةً، فافعلوا وذروا**»[2]، وفي الآية دلالة على أنَّ الطاعة هي فعلٌ متعلق بأمر أو نهي ولا تكون إلا بعد وروده.

❁ وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعۡنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنۡهُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٌ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ يَأۡتُوٓاْ إِلَيۡهِ مُذۡعِنِينَ ۞ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرۡتَابُوٓاْ أَمۡ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَرَسُولُهُۥۚ بَلۡ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[النور48]، عَنْ مُقَاتِلِ بْنِ حَيَّانَ قَوْلُ اللهِ ﴿ وَأَطَعۡنَا ﴾ قَالَ أَقَرُّوا لِلَّهِ أَنْ يُطِيعُوهُ فِي أَمْرِهِ

[1] قال أبو العباس: **وَلَا تَكُونُ الطَّاعَةُ إلَّا عَنْ أَمْرٍ كَمَا أَنَّ الْجَوَابَ لَا يَكُونُ إلَّا عَنْ قَوْلٍ** يُقَالُ أَمَرَهُ فَأَطَاعَ وَقَالَ ابْنُ فَارِسٍ إذَا مَضَى لِأَمْرِهِ فَقَدْ أَطَاعَهُ إطَاعَةً وَإِذَا وَافَقَهُ فَقَدْ طَاوَعَهُ" المصباح المنير في غريب الشرح الكبير2/380

[2] تفسير البغوي 2/396

وَنَهْيِهِ."[1]، وقوله تعالى: ﴿ مُذْعِنِينَ﴾ مسرعين في طلب الطاعة **طلبًا لحقهم لا رضا بحكم رسولهم، قال الزجاج الإذعان: الإسراع مع الطاعة**"[2].

❁ وقوله تعالى: ﴿ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُل لَّا تُقْسِمُواْ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾[النور53] **قال مُقَاتِلِ بْنِ حَيَّانَ** في قوله ﴿ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ﴾: وَذَلِكَ فِي شَأْنِ الْجِهَادِ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ بِالْخُرُوجِ مَعَكَ إِلَى الْجِهَادِ لَيَخْرُجُنَّ مَعَكَ، وَفِي قَوْلِهِ: ﴿لَّا تُقْسِمُواْ ﴾، قَالَ: يَأْمُرُهُمْ أَنْ لَا يَحْلِفُوا عَلَى شَيْءٍ وَفِي قَوْلِهِ: ﴿طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ﴾، قَالَ:« **أَمَرَهُمْ أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ طاعة مَعْرُوفَةٌ** لِلنَّبِيِّ ﷺ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُقْسِمُوا» [3].ومعلوم أن المنافقين كفار في الباطن وسمى الله قسمهم بالامتثال طاعة، **وهذا يرد على الأشاعرة الجهمية الذين جعلوا الطاعة معلقة بالباطن واشترطوا الاعتقاد**[4].

---

[1] رواه ابن أبي حاتم برقم 14733

[٢] مدارك التنزيل وحقائق التأويل.513/2

[٣] رواه ابن ابي حاتم في تفسيره برقم 14751

[4] **وفي هذا رد على الأشاعرة الجهمية الذين حصروا الشرك في الطاعة في الاعتقاد فقط والمتابعة في الاعتقاد أي العلم بصحة الشيء أو بطلانه**، وجعلوا النصوص الواردة في شرك الطاعة دليلاً على كفر المستحل لما حرم الله كما قال القرطبي:" قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ ﴾ أَيْ فِي تَحْلِيلِ الْمَيْتَةِ﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ فَدَلَّتِ الْآيَةُ عَلَى أَنَّ مَنِ اسْتَحَلَّ شَيْئًا مِمَّا حَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى صَارَ بِهِ مُشْرِكًا. وَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْمَيْتَةَ نَصًّا، فَإِذَا قَبِلَ تَحْلِيلَهَا مِنْ غَيْرِهِ فَقَدْ أَشْرَكَ. قَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ: إِنَّمَا يَكُونُ الْمُؤْمِنُ بِطَاعَةِ الْمُشْرِكِ مُشْرِكًا إِذَا أَطَاعَهُ فِي الِاعْتِقَادِ، فَأَمَّا إِذَا أَطَاعَهُ فِي الْفِعْلِ وَعَقْدُهُ سَلِيمٌ مُسْتَمِرٌّ عَلَى التَّوْحِيدِ وَالتَّصْدِيقِ فَهُوَ عَاصٍ، فَافْهَمُوهُ". وللأسف هذا الذي فهمه بعض المحسوبين على أهل السنة والجماعة.

وهذا القول فاسد لاعتبارات كثيرة ومنها:

1ـ الاستحلال هو كفر مجرد لا يلزم أن تُصاحبه الطاعة، أي من استحل الحرام أو حرم الحلال كفر ولو لم يعمل أو يمتثل، فأصبحت الطاعة على هذا القول لغواً لا يضر دخولها أو خروجها كمناط للكفر، وهذا التأصيل فيه إلغاء لأحد أنواع الشرك بالله الذي هو شرك الطاعة، حيث أنه جعل الشرك بالله في هذا النوع ـ الذي هو الطاعة ـ هو مناطه الاعتقاد ويكون في القلب فقط، وهذا مصادم لأصول أهل السنة في باب الكفر والإيمان ... والشرك بالله سواء في الحكم أو العبادة أو الطاعة فهي تخضع لما قرره الأئمة في هذا الباب العظيم فتكون

بالاعتقاد والقول والعمل، قال الشافعي رحمه الله تعالى: «وكان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم وممن أدركناهم يقولون إن الإيمان قول وعمل ونية لا يجزئ واحد من الثلاثة إلا بالآخر»، والكُفْرُ شرعا ضِدُّ الإيمانِ، وكما أنَّ الإيمانَ قَولٌ وعَمَلٌ واعتقادٌ، فالكُفْرُ يكونُ قَولًا وعَمَلًا واعتِقادًا، وقصره على القلب هو على أصول الجهمية.

2ـ الوصف الذي عُلق عليه الحكم هو الاتباع في أكثر ما ورد في الباب، وهذا واضح في الآثار كما في حديث عدي قَالَ: فَقُلْتُ: إِنَّهُمْ لَمْ يَعْبُدُوهُمْ. فَقَالَ: « بلَى، إِنَّهُمْ حَرَّمُوا عَلَيْهِمُ الْحَلَالَ، وَأَحَلُّوا لَهُمُ الْحَرَامَ، فَاتَّبَعُوهُمْ، فَذَلِكَ عِبَادَتُهُمْ إِيَّاهُمْ»"، فجعل النبي ﷺ العبادة في اتباعهم على التحليل والتحريم، والاتباع يطلق على الظاهر وليس على الباطن كما فسره السلف وليس هو المتابعة على الاعتقاد فقط كما يفسره به الأشاعرة، بل فهم السلف للمتابعة أعم ومنه الموافقة في الظاهر كما قَالَ قَتَادَةُ: أخذَ بَنُو الْمُغِيرَةِ عَمَّارًا وَغَطُّوهُ فِي بِئْرِ مَيْمُونٍ، وَقَالُوا لَهُ: اكْفُرْ بِمُحَمَّدٍ فَتَابَعَهُمْ عَلَى ذَلِكَ وَقَلْبُهُ كَارِهٌ".

فالمتابعة هي في الظاهر وهو ما ورد عن ابن عباس وحذيفة وأبو البختري وأبو العالية والضحاك وعلماء السلف كما قال ابن كثير" وَقَالَ السُّدِّي فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ: «إِنَّ الْمُشْرِكِينَ قَالُوا لِلْمُؤْمِنِينَ: كَيْفَ تَزْعُمُونَ أَنَّكُمْ تَتَّبِعُونَ مَرْضَاةَ اللَّهِ، وَمَا ذَبَحَ اللَّهُ فَلَا تَأْكُلُونَهُ، وَمَا ذَبَحْتُمْ أَنْتُمْ أَكَلْتُمُوهُ؟ فَقَالَ اللَّهُ: ﴿ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ ﴾ فَأَكَلْتُمُ الْمَيْتَةَ ﴿ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ ﴾، وَهَكَذَا قَالَهُ مُجَاهِدٌ، وَالضَّحَّاكُ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ عُلَمَاءِ السَّلَفِ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ ﴾، "أَيْ: حَيْثُ عَدَلْتُمْ عَنْ أَمْرِ اللَّهِ لَكُمْ وَشَرْعِهِ إِلَى قَوْلِ غَيْرِهِ، فَقَدَّمْتُمْ عَلَيْهِ غَيْرَهُ فَهَذَا هُوَ الشِّرْكُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾[التوبة31]" ، ولم يذكر ابن كثير الذي جرى عليه الأشاعرة من الحصر في الاعتقاد.

3ـ أن اليهود والنصارى منهم من تابع على الاعتقاد ومنهم من لم يتغير اعتقاده في التحليل والتحريم بل تابع على جهة قبول التكليف والدليل على ذلك:

❁ قوله تعالى:{ وَكَيۡفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوۡرَىٰةُ فِيهَا حُكۡمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوۡنَ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ }[المائدة 43]، قال الطبري: يعني تعالى ذكره: وكيف يحكمك هؤلاء اليهود، يا محمد، بينهم، فيرضون بك حكمًا بينهم { وَعِندَهُمُ ٱلتَّوۡرَىٰةُ } التي أنزلتها على موسى، التي يقرُّون بها أنها حق، وأنها كتابي الذي أنزلته إلى نبيي، وأن ما فيه من حكم فمن حكمي، يعلمون ذلك لا يتناكرونه ولا يتدافعونه، ويعلمون أن حكمي فيها على الزاني المحصن الرجم، وهم مع علمهم بذلك { ثُمَّ يَتَوَلَّوۡنَ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ } يقول: يتركون الحكم به بعد العلم بحكمي فيه جراءة عليّ وعصيانًا لي".

وقال ابن كثير:" ثُمَّ قَالَ تَعَالَى -مُنْكِرًا عَلَيْهِمْ فِي آرَائِهِمُ الْفَاسِدَةِ وَمَقَاصِدِهِمُ الزَّائِغَةِ، فِي تَرْكِهِمْ مَا يَعْتَقِدُونَ صِحَّتَهُ مِنَ الْكُتَّابِ الَّذِي بِأَيْدِيهِمْ، الَّذِي يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ مَأْمُورُونَ بِالتَّمَسُّكِ بِهِ أَبَدًا، ثُمَّ خَرَجُوا عَنْ حُكْمِهِ وَعَدَلُوا إِلَى غَيْرِهِ،

مِمَّا يَعْتَقِدُونَ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ بُطْلَانَهُ وَعَدَمِ لُزُومِهِ لَهُمْ -فَقَالَ: {وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ}".

وهذا النقل يدل على أن الكثير من بني إسرائيل لم يتغير اعتقادهم في التحليل والتحريم بل كان الاتباع في الظاهر مع اتخاذهم الأرباب في التشريع والحكم، وهذا أحد أنواع شرك الطاعة الواقع منهم.

❁ وقوله تعالى: {وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ }[البقرة 78]، قال ابن زيد في قوله: قال: {وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ}، لا يقرءون الكتاب من اليهود"..

❁ وعن قتادة في قوله: {وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ}إنما هم أمثال البهائم، لا يعلمون شيئا».

❁ وعن ابن عباس في قوله: {وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ} قال: لا يعرفون الكتاب الذي أنزله الله».

وأقول أنَّ أمثال هؤلاء قد يتابعون الطواغيت على الاعتقاد لخلو قلوبهم من تحليل الحرام وتحريم الحلال فهم كالبهائم وهذا متصور فيهم.

4ـ يذكر المخالفون روايات وردت بلفظ الاستحلال كما قال ابن أبي حاتم حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَةَ ثنا يَحْيَى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ حَدَّثَنِي ابْنُ لَهِيعَةَ حَدَّثَنِي عَطَاءٌ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَوْلَهُ: وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ يَعْنِي اسْتِحْلالا فِي أَكْلِ الْمَيْتَةِ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ مِثْلَهُمْ"، وما روى الطبري قال حدثني الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا الثوري، عن حبيب بن أبي ثابت، عن أبي البختري قال: سأل رجل حذيفة فقال: يا أبا عبد الله، أرأيت قوله: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾، أكانوا يعبدونهم؟ قال: لا كانوا إذا أحلُّوا لهم شيئًا استحلُّوه، وإذا حرَّموا عليهم شيئًا حرَّموه».

وهذه الآثار ظاهرة في الاستحلال العملي أي قبول التحليل والتحريم من هؤلاء الطواغيت والعمل بمقتضى ذلك التشريع، وحتى وإن حملناه على الاستحلال العقدي فليس في هذه الآثار تقييد للآية أو تخصيص لإطلاقها بل هو من باب ذكر بعض أفراد الشيء، أي التفسير بذكر بعض أفراد العام، حيث أن حذيفة ذكر بعض الصور التي تكون فيها الطاعة كفراً وهي المتابعة على الاعتقاد ــ وليس هو حصرٌ للطاعة في الاعتقاد ــ كما أنه نُقل عنه ذكر مناط مطلق المتابعة فلتنتبه، فإن اللفظ الوارد في السنة هو الاتباع ومعناه قبول التكليف والدخول في العمل كما في الحديث:« فَقَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة 31]، قَالَ: فَقُلْتُ: إِنَّهُمْ لَمْ يَعْبُدُوهُمْ. فَقَالَ: « بلَى، إِنَّهُمْ حَرَّمُوا عَلَيْهِمُ الْحَلَالَ، وَأَحَلُّوا لَهُمُ الْحَرَامَ، فَاتَّبَعُوهُمْ، فَذَلِكَ عِبَادَتُهُمْ إِيَّاهُمْ»"، وَهَكَذَا قَالَ حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ، وَغَيْرُهُمَا فِي تَفْسِيرِ: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ إِنَّهُمُ اتَّبَعُوهُمْ فِيمَا حَلَّلُوا وَحَرَّمُوا"[4].

وقال يحيى بن سلام: قَالَ اللَّهُ: ﴿قُل لَّا تُقۡسِمُواْ﴾ أَيْ: لا تَحْلِفُوا، ثُمَّ اسْتَأْنَفَ الْكَلامَ فَقَالَ: ﴿طَاعَةٞ مَّعۡرُوفَةٌ﴾، خَيْرٌ، وَهَذَا إِضْمَارٌ، أَيْ: خَيْرٌ مِمَّا تُضْمِرُونَ مِنَ النِّفَاق ﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ ﴿قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ [النور: 54] **يَعْنِي الْمُنَافِقِينَ**"[1]،

❁ وقال تعالى: ﴿فَأَوۡلَىٰ لَهُمۡ ۝٢٠ طَاعَةٞ وَقَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞۚ﴾[محمد21]، وعن مجاهد ﴿طَاعَةٞ وَقَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞۚ﴾قال:« أمر الله بذلك المنافقين»[2].

وفي مجموع الآيات أنَّ الطاعة وإنْ وقعت من المنافقين فهي امتثال الأمر وإيجاد العمل ــ الذي هو التحاكم في الآية الثانية والجهاد كما في الآيتين الثالثة والرابعة ــ من غير تصديق، وسماها الله طاعة، فدل على أن الطاعة تُطلق على مجرد الامتثال أي إيجاد الأمر سواء كان مع التصديق أو من غير تصديق، أما ما يترتب عليه الجزاء والثواب فهو ما تواطئ عليه الباطن والظاهر جميعاً، أي: أن يكون العمل خالصا صواباً.

❁ وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيۡطَٰنَ وَلِيّٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدۡ خَسِرَ خُسۡرَانٗا مُّبِينٗا﴾[النساء 11] قال الواحدي:" يريد من يُطعه فيما يدعو إليه من الضلال، فكل من أطاعه فهو وليٌّ له وإن لم يقصد أن يتولاه، **كما يكون مطيعًا له**

وإن كان بعض الأشاعرة لم يحصرها في الاستحلال كما ذكر ذلك النسفي في تفسير قوله تعالى ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا﴾: آلهة ﴿ مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ حيث أطاعوهم في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله، كما يطاع الأرباب في أوامرهم ونواهيهم"[4].

وأما ما ينقله البعض من كلام ابن تيمية فقد ورد في كلامه ما ينبغي على المنصف أن يقف عليه ويفهم قصده من كل كلامه لا من مجتزئة كما قال ابن تيمية:" فالإسلام يتضمن الاستسلام لله وحده، فمن استسلم له ولغيره كان مشركاً، ومن لم يستسلم له كان مستكبراً عن عبادته، والمشرك به والمستكبر عن عبادته كافر، والاستسلام له وحده يتضمن عبادته وحده وطاعته وحده، فهذا دين الإسلام الذي لا يقبل الله عزَّ وجلَّ ديناً غيره"[4]، فهذا واضح في أن قبول التكليف من غير الله والخضوع له بالطاعة هو شرك بالله تعالى.

[١] تفسير بن سلام 1/ 458
[٢] تفسير الطبري 176/22

وإن لم يقصد أن يطيعه، بموافقته لإرادته، وإجابته إلى ما دعاه إليه، فهو يعمل عملًا يُعينه عليه الشيطان، وكان الشيطان له وليًا ناصرًا معينًا"[1].

من السنة

❁ ما رواه عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: ﴿السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ عَلَى المَرْءِ المُسْلِمِ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلاَ سَمْعَ وَلاَ طَاعَةَ﴾[2]

❁ عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، قَالَ: «بَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي المَنْشَطِ وَالمَكْرَهِ، وَأَنْ لاَ نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ، وَأَنْ نَقُومَ أَوْ نَقُولَ بِالحَقِّ حَيْثُمَا كُنَّا، لاَ نَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لاَئِمٍ»[3].

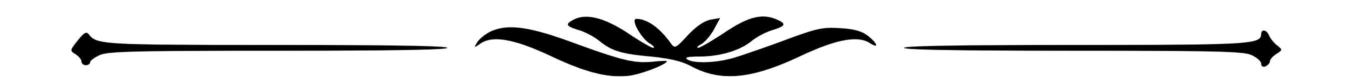
فتكون الطاعة مع عدم المطاوعة على الفعل، أي: الطاعة هي الامتثال المجرد ولو مع كراهية العمل في الباطن، **وعليه يكون شرك الطاعة في امتثال الأمر بعد الطلب والتلقي وليس في المتابعة على الاعتقاد** كما يقول الجهمية، قال أبو الحسين الملطي:" وَمن المرجئة صنف زَعَمُوا أَن الْإِيمَان معرفَة بِالْقَلْبِ لَا فعل بِاللِّسَانِ وَلَا عمل بِالْبدنِ وَمن عرف الله بِقَلْبِه أَنه لَا شَيْء كمثله فَهُوَ مُؤمن وَإِن صلى نَحْو الْمشرق أَو الْمغرب وربط فِي وسطه زنارا وَقَالُوا لَو أوجَبْنَا عَلَيْهِ الْإِقْرَار بِاللِّسَانِ أَوْجَبنَا عَلَيْهِ عمل الْبدن حَتَّى قَالَ بَعضهم الصَّلَاة من ضعف الْإِيمَان من صلى فقد ضعف إيمَانه.

نقُول كَيفَ تجوز لَهُ الصَّلَاة نَحْو الْمشرق وَقد قَالَ الله عز وَجل: ﴿ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ

[١] التفسير البسيط للواحدي 105/7
[٢] رواه البخاري برقم 7144 ورواه مسلم برقم 1839
[3] رواه البخاري برقم 7199

شَطۡـَٔهُۥ﴾ وكَيـف يجـوز ربـط الزنـار فِي وَسـطه وَقـد قَـالَ عَلَيْـهِ السَّـلَام ﴿مـن تشـبه بِقوم فَهُوَ مِنْهُم﴾.

وَكَيــف تجــوز الْمعرفَــة بِالْقَلْــبِ دون القَــوْل وَالله عــز وَجــل يَقُــول: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾ **وَلَا تكــون هَــذِه الطَّاعَــة إِلَّا بــالْقَوْل وَالْعَمَــل** قــد قَــالَ الْأَوْزَاعِــيّ رَحمَــه الله أدْركْــت النَّــاس وهــم يَقُولُــونَ الْإِيمَــان قَــول وَعمــل وَقد ذكرنَا هَذَا فِي آخر الْكتاب مُجَردا إِن شَاءَ الله تَعَالَى"[1].



[1] التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع 149/1

المطلب الخامس: ضابط الفرق بين طاعة المشرِّعين في معصية الله وطاعة الشيطان.

إنَّ امتثال التكليف ــ المتضمن لتحليل الحرام أو تحريم الحلال أو إسقاط الواجب أو تغيير أحكام الوضع ــ إنما يقع ممن يصدُرُ عن مثله التكليف، أي ممن له سلطان على المكلف، وأما من لا سلطان له على المكلف فلا تكليف في أمره ويسمى طلبه التماساً أو دعاءً، لأن الأمر يكون من أعلى إلى أدنى لا من مساوي أو ممن هو أدنى[1]، قال الخطيب البغدادي: "الْأَمْرُ هُوَ: قَوْلٌ يَسْتَدْعِي بِهِ الْقَائِلُ الْفِعْلَ **مِمَّنْ هُوَ دُونَهُ** ــ إلى أن قال ــ وَمَا كَانَ مِنَ الْأَدْنَى لِلْأَعْلَى فَلَيْسَ بِأَمْرٍ كَقَوْلِنَا: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَإِنَّمَا هُوَ مَسْأَلَةٌ وَرَغْبَةٌ، ــ وروى بسنده ــ عَنْ أَبِي سَعِيدِ بْنِ الْمُعَلَّى قَالَ: كُنْتُ أُصَلِّي فَدَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَمْ أُجِبْهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: إِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي قَالَ: " أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ﴾ [الأنفال: 24] **وَلِأَنَّ السَّيِّدَ لَوْ قَالَ لِعَبْدِهِ: اسْقِنِي مَاءً فَلَمْ يَسْقِهِ اسْتَحَقَّ الذَّمِّ**، وَلَوْ لَمْ يَقْتَضِ أَمْرُ السَّيِّدِ الْوُجُوبَ لَمَا اسْتَحَقَّ الْعَبْدُ الذَّمَّ عَلَيْهِ وَإِذَا وَرَدَ الْأَمْرُ مُطْلَقًا بِفِعْلِ شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ"[2].

وقبول التكليف والعمل بهذا التكليف الصادر من المشرعين يسمى طاعة وامتثالاً، أما الاستجابة لداعي الغواية سواءً كان من النفس الأمارة بالسوء أو الهوى أو الشيطان لا يسمى تكليفاً، كقوله تعالى:﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ ﴾[يوسف 53]، قال البغوي :﴿ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾ يَعْنِي: إن النفس كَثِيرَةَ الْأَمر بالسوء: السوء هَاهُنَا هُوَ

---

[1] قال الفتوحي في تعريف الأمر:" وَأَمَّا حَدُّهُ أَيْ حَدُّ الأَمْرِ فِي الاصْطِلاحِ فَهُوَ "اقْتِضَاءُ مُسْتَعْلٍ مِمَّنْ دُونَهُ فِعْلاً بِقَوْلٍ ــ إلى أن قال ــ قَالَ فِي شَرْحِ التَّحْرِيرِ: وَاعْتَبَرَ أَكْثَرُ أَصْحَابِنَا، مِنْهُمْ الْقَاضِي وَابْنُ عَقِيلٍ وَابْنُ الْبَنَّاءِ وَالْفَخْرُ إسْمَاعِيلُ وَالْمَجْدُ بْنُ تَيْمِيَّةَ وَابْنُ حَمْدَانَ وَغَيْرُهُمْ، وَنَسَبَهُ ابْنُ عَقِيلٍ فِي الْوَاضِحِ إلَى الْمُحَقِّقِينَ. وذكر طائفة. **الْعُلُوَّ. فَأَمْرُ الْمُسَاوِي غَيْرِهِ يُسَمَّى عِنْدَهُمْ الْتِمَاسًا، وَالأَدْوَنِ سُؤَالاً."**
وقال الفخر الرازي: **"الذي عليه المتكلمون: أنه لا يشترط علو ولا استعلاء"**، وما هو ما جزم به ابن السبكي، ورجحه العضد، ولم تشترط المعتزلة وغيرهم الاستعلاء" شرح الكوكب المنير 12/3

[٢] **الفقيه والمتفقه** 220/1

الْمَعْصِيَةَ"[1]،وقال تعالى:﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴾[الأعراف17]، وقال تعالى:﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾[فاطر6] عَنِ ابْنِ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ ﴾الآية، قال:« يدعوا حَزْبَهُ إِلَى مَعَاصِي اللَّهَ، وَأَصْحَابُ مَعَاصِي اللَّهِ أَصْحَابُ السَّعِيرِ وَهَؤُلاءِ حِزْبُهُ مِنَ الْإِنْسِ أَلا تَرَاهُ يَقُولُ: أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ قَالَ: وَالْحِزْبُ وِلايَةُ الَّذِينَ يَتَوَلَّاهُمْ وَيَتَوَلَّوْنَهُ»[2]، فالشيطان حريص على إيقاع بني آدم معه في نار جهنم، فيُحسّن لهم الكفر والمعاصي، ويَعِد ويُمنّي كما قال تعالى:﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾[النساء120].

ولما نقول أنَّ الشيطان لا سلطان له على المكلف أي: سلطان القهر والإلزام والإكراه على العمل وهو السلطان الذي يتعلق به التكليف، وهو الذي ينفيه الشيطان عن نفسه عندما يقوم خطيباً يوم القيامة كما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [إبراهيم 22] عَنِ الحَسَنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:« إِذَا كَانَ يَوْم الْقِيَامَة، قام إبليس خطيبًا عَلَى منبر مِنْ نار فقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ﴾ ... إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ

[١] تفسير البغوي 39/3
[٢] رواه ابن ابي حاتم في تفسيره برقم 17930

﴿قَالَ: بناصري ﴿ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ﴾، بطاعتكم إياي في الدُّنْيَا»[1].

قال يحيى بن سلّام: أي: **ما كانوا إيانا يعبدون بسلطان كان لنا عليهم استكرهناهم به**، وإنّما دعوهم بالوسوسة، كقول إبليس: ﴿ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ﴾ [إبراهيم: 22]، وكقولهم: {وما كان لنا عليكم من سلطان} [الصافات: 30]، وكقول الله: ﴿ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ ﴾إلى آخر الآية [سبأ: 21]، وكقوله: ﴿مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ﴾ [الصافات: 162] بِمُضِلّين ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [الصافات: 163]"[2].

وقال الطبري: ومعناه: ولكن ﴿دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ﴾ يقول: **إلا أن دعوتكم إلى طاعتي ومعصية الله، فاستجبتم لدعائي** ﴿فَلَا تَلُومُونِى ﴾، على إجابتكم إياي ﴿وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ﴾، عليها"[3]، " وَقَالَ الْبَصْرِيُّونَ: وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْيَوْمِ الْحَقِّ ﴿ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ ﴾أَيْ: تَسَلُّطٍ عَلَيْكُمْ بِإِظْهَارِ حُجَّةٍ عَلَى مَا وَعَدْتُكُمْ بِهِ وَزَيَّنْتُهُ لَكُمْ ﴿إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ﴾أَيْ: **إِلَّا مُجَرَّدُ دُعَائِي لَكُمْ إِلَى الْغَوَايَةِ وَالضَّلَالِ بِلَا حُجَّةٍ وَلَا بُرْهَانٍ، وَدَعْوَتُهُ إِيَّاهُمْ لَيْسَتْ مِنْ جِنْسِ السُّلْطَانِ حَتَّى تُسْتَثْنَى مِنْهُ**، بَلِ الِاسْتِثْنَاءُ مُنْقَطِعٌ، أَيْ: لَكِنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي، أَيْ: فَسَارَعْتُمْ إِلَى إِجَابَتِي وَقِيلَ: **الْمُرَادُ بِالسُّلْطَانِ هُنَا الْقَهْرُ** أَيْ: **مَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ قَهْرٍ يَضْطَرُّكُمْ إِلَى إِجَابَتِي** وَقِيلَ: هَذَا الِاسْتِثْنَاءُ هُوَ مِنْ بَابِ: تَحِيَّةُ بَيْنِهِمْ ضَرْبٌ وَجِيعٌ، مُبَالَغَةً فِي نَفْيِهِ لِلسُّلْطَانِ عَنْ نَفْسِهِ كَأَنَّهُ قَالَ: إِنَّمَا يَكُونُ لِيَ عَلَيْكُمْ سُلْطَانٌ إِذَا كَانَ **مُجَرَّدُ الدُّعَاءِ** مِنَ السُّلْطَانِ، وَلَيْسَ مِنْهُ قَطْعًا فَلا تَلُومُونِي بِمَا وَقَعْتُمْ فِيهِ بِسَبَبِ وَعْدِي لَكُمْ بِالْبَاطِلِ

[١] رواه ابن أبي حاتم في تفسيره برقم 12246
2 تفسير يحيى بن سلام 2/ 604
[٣] تفسير الطبري 561/16

وَإِخْلَافِي لِهَذَا الْمَوْعِدِ وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ بِاسْتِجَابَتِكُمْ لِي بِمُجَرَّدِ الدَّعْوَةِ الَّتِي لَا سُلْطَانَ عَلَيْهَا وَلَا حُجَّةَ"[1].

ولو كان الشيطان له سلطان على الناس بقهرهم على الضلالة ـ سوى الدعاء ـ لأضل جميع الخلق عن الهداية كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾[النساء: 118] قال الواحدي:" يريد أهل النار، وقال: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ﴾ الآية، **ولو كان شيء من الضلالة إليه سوى الدعاء إليها لأضل جميع الخلق عن الهدى**"[2]، وقال ابن أبي زمنين:" ﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ﴾أَيْ: يُطِيعُونَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَسْتَطِيعَ **أَنْ يُكْرِهَهُمْ** ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ﴾ أَيْ: بِاللَّهِ مُشْرِكُونَ"[3].

وما أثبته الله ـ في مواضع من كتابه ـ من السلطان والأمر والطاعة للشيطان، فهو **حجته وتسليطه وولايته على أوليائه من المشركين دون الموحدين، والقاعدة في الباب: أنَّ المثبت غير المنفي، ودل على ذلك آيات:**

❁ كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾[الحجر42]، **وقال تعالى:** ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾[الاسراء65] ، **قال أبو جعفر :" يقول تعالى ذكره لإبليس: إن عبادي الذين أطاعوني، فاتبعوا أمري وعصوك يا إبليس، ليس لك عليهم حجة"**[4].

❁ ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ

[١] فتح القدير 134/3
[٢] التفسير البسيط للواحدي 104/7
[٣] تفسير ابن أبي زمنين 418/2
[٤] تفسير الطبري 476/17

عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ ﴾ [النحل100] ، عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿ إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ ﴾قَالَ:« **حجته** عَلَى الذين يتولونه وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ قَالَ: يعدلونه برب العالمين»[1].

❁ وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَوْلَهُ: ﴿ سُلۡطَٰنًا مُّبِينًا ﴾[النساء144] قَالَ: «كُلُّ سُلْطَانٍ فِي الْقُرْآنِ حُجَّةٌ» وَرُوِيَ عَنْ مُجَاهِدٍ، وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، وَعِكْرِمَةَ، وَمُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ وَالضَّحَّاكِ وَالسُّدِّيِّ، وَالنَّضْرِ بْنِ عَرَبِيٍّ مِثْلُ ذَلِكَ"[2].

❁ عَنْ سُفْيَانَ الثوري فِي قَوْلِهِ: ﴿ إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾قَالَ:« ليس لَهُ سلطان عَلَى أن يحملهم عَلَى ذنب لا يغفر لَهُمْ»[3].

❁ وقال الطبري: وأما قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴾فإنه يعني بذلك: أن الشيطان ليست له حجة على الذين آمنوا بالله ورسوله، وعملوا بما أمر الله به وانتهوا عما نهاهم الله عنه﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ يقول: وعلى ربهم يتوكلون فيما نابهم من مهمات أمورهم﴿ إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ﴾ يقول: **إنما حجته على الذين يعبدونه**، ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ﴾، يقول: والذين هم بالله مشركون"[4].

والشيطان هو رأس الطواغيت وكل عبادة لغير الله في الأرض أو تشريع من دون الله إنما وقعت بتزيين الشيطان لأوليائه وطاعة أمره واتباع وحيه، ولا يوجد من الناس غالباً[5]من يقصد عبادة الشيطان لذاته، بل الكل يفرّ

[١] أخرجه ابن ابي حاتم في تفسيره برقم 12655

[٢] رواه ابن أي حاتم برقم 6151

[٣] أخرجه ابن ابي حاتم في تفسيره برقم 12654

[٤] تفسير الطبري 294/17

[٥] إلا ما ظهر في هذا الزمان طائفة من البشر تعبد ذات الشيطان والله المستعان.

عن عبادته ويتبرأ منها، وإنما يعبدون من دون الله أولياء وزين لهم الشيطان أعمالهم كما قال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[التوبة37]، وقال تعالى: ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴾[النساء117]، "أَيْ: هُوَ الَّذِي أَمَرَهُمْ بِذَلِكَ وَحَسَّنَهُ لَهُمْ وَزَيَّنَهُ، **وَهُمْ إِنَّمَا يَعْبُدُونَ إِبْلِيسَ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ**، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾[يس60] وَقَالَ تَعَالَى إِخْبَارًا عَنِ الْمَلَائِكَةِ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ ادَّعَوْا عِبَادَتَهُمْ فِي الدُّنْيَا: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ۝٤٠ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴾[سَبَأٍ: 41]"[1]، وقال ابن أبي زمنين:" ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ﴾لأنهم عبدُوا الْأَوْثَان بِمَا وسوس إِلَيْهِم الشَّيْطَان؛ فَأَمرهمْ بعبادتهم فَإِنَّمَا عبدُوا الشَّيْطَان"[2].

وطاعة المشركين للشيطان هي طاعة عبادة وهي الواردة في قوله تعالى:﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾[ياسين: 60]، أخرج ابْن الْمُنْذر عَن مَكْحُول فِي قَوْله: ﴿أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ﴾ قَالَ: إِنَّمَا عِبَادَته طَاعَته"[3]، وله عليهم سلطان وولاية كما قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴾ [النحل100]، ويأمرهم ويخوفهم كما قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[آل عمران175]، فالكافر عبدٌ للشيطان يطيعه ويتولاه وينقاد لأمره ووحيه، فعن عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ، كَتَبَ إِلَى سَعِيدِ بْنِ

[١] تفسير بن كثير 415/2
[2] تفسير ابن أبي زمنين 50/4
[٣] الدر المنثور 67/7

جُبَيْرٍ يَسْأَلُهُ عَنْ هَذِهِ الْمَسَائِلِ، فَأَجَابَهُ فِيهَا:" تَسْأَلُ عَنِ الدِّينِ: وَالدِّينُ الْعِبَادَةُ، فَإِنَّكَ لَنْ تَجِدَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ دِينٍ يَتْرُكُ عِبَادَةَ أَهْلِ دِينِهِ، ثُمَّ لَا يَدْخُلُ فِي دِينٍ آخَرَ إِلَّا صَارَ لَا دِينَ لَهُ، **وَتَسْأَلُ عَنِ الْعِبَادَةِ: وَالْعِبَادَةُ هِيَ الطَّاعَةُ**، وَذَلِكَ أَنَّهُ مَنْ أَطَاعَ اللَّهَ فِيمَا أَمَرَهُ بِهِ وَفِيمَا نَهَاهُ عَنْهُ فَقَدْ أَتَمَّ عِبَادَةَ اللَّهِ، وَمَنْ أَطَاعَ الشَّيْطَانَ فِي دِينِهِ وَعَمَلِهِ فَقَدْ عَبَدَ الشَّيْطَانَ، أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ قَالَ لِلَّذِينَ فَرَّطُوا: ﴿ أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوٞ مُّبِينٞ ﴾ [ياسين: 60] **وَإِنَّمَا كَانَتْ عِبَادَتُهُمُ الشَّيْطَانَ أَنَّهُمْ أَطَاعُوهُ فِي دِينِهِمْ**، فَمِنْهُمْ مَنْ أَمَرَهُمْ فَاتَّخَذُوا أَوْثَانًا أَوْ شَمْسًا أَوْ قَمَرًا أَوْ بَشَرًا أَوْ مَلَكًا يَسْجُدُونَ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، **وَلَمْ يَظْهَرِ الشَّيْطَانُ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ**، فَيَتَعَبَّدُ لَهُ، أَوْ يَسْجُدُ لَهُ، وَلَكِنَّهُمْ أَطَاعُوهُ فَاتَّخَذُوهَا آلِهَةً مِنْ دُونِ اللَّهِ، فَلَمَّا جُمِعُوا جَمِيعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي النَّارِ قَالَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ: ﴿ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُ ﴾ [إبراهيم: 22] ، وقال تعالى: ﴿ إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴾[الأنبياء: 98] فَعُبِدَ عِيسَى وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَلَمْ يَجْعَلْهُمُ اللَّهُ فِي النَّارِ، فَلَيْسَ لِلشَّمْسِ وَالْقَمَرِ ذَنْبٌ، وَذَلِكَ يَصِيرُ إِلَى طَاعَةِ الشَّيْطَانِ، فَيَجْعَلُهُمْ مَعَهُمْ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ حِينَ تَقَرَّبُوا مِنْهُمْ: ﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٩٧ إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾[الشعراء: 98] وَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ حِينَ سَأَلَهُمُ اللَّهُ: ﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ يَقُولُ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٤٠ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ بَلۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٱلۡجِنَّۖ أَكۡثَرُهُم بِهِم مُّؤۡمِنُونَ ﴾[سبأ: 40] قَالَ: أَفَلَا تَرَى إِلَى عِبَادَتِهِمُ الْجِنَّ إِنَّمَا هِيَ أَنَّهُمْ أَطَاعُوهُ فِي عِبَادَةِ غَيْرِ اللَّهِ، **فَيَصِيرُ الْعِبَادَةُ إِلَى أَنَّهَا طَاعَةٌ** "[1]، ومن صور عبادة الشيطان ما روي عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ يَعُوذُونَ بِرِجَالٖ مِّنَ ٱلۡجِنِّ ﴾[الجن: 6] كَانُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا أُنْزِلُوا

[1] رواه المروزي في تعظيم قدر الصلاة برقم 345

مَنْزِلًا قَالُوا: نَعُوذُ بِأَعَزِّ هَذَا الْمَكَانِ ﴿ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ قَال يَقُولُ: «خَطِيئَةً وَإِثْمًا»"[1]

وطاعة الشيطان تكون كفرا إذا أطاعه في الكفر كما بيَّن الله تعالى في قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[الحشر 16]، عن عبد الله بن نهيك، قال: سمعت عليًا رضي الله عنه يقول: إن راهبًا تعبَّد ستين سنة، وأن الشيطان أراده فأعياه، فعمد إلى امرأة فأجنها، ولها إخوة، فقال لإخوتها: عليكم بهذا القسّ فيداويها، فجاءوا بها، قال: فداواها، وكانت عنده؛ فبينما هو يوما عندها إذا أعجبته، فأتاها فحملت، فعمد إليها فقتلها، فجاء إخوتها، فقال الشيطان للراهب: أنا صاحبك إن أعييتني، أنا صنعت بك هذا فأطعني أنجك مما صنعتُ بك، اسجد لي سجدة، فسجد له؛ فلما سجد له قال: إني بريء منك، ﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ فذلك قوله: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾"[2] .

أما المؤمنون فلا سلطان للشيطان عليهم ولا حجَّة ولا ولاية، وقد يستزلُّهم ويغويهم في حالة غفلة أو ضعف أو شهوة، وهذا غاية ما يظفر به منهم كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ إِنَّمَا ٱسۡتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِبَعۡضِ مَا كَسَبُواْۖ وَلَقَدۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ﴾[آل عمران 155]

وأرشد الله إلى طريق النجاة منه وأوضح حال المؤمن معه: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ﴾[الأعراف201]، وبين النبي ﷺ هذا المعنى

[١] تفسير عبد الرزاق برقم 3348

[2] تفسير الطبري 295/23

جلياً كما ورد عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ»[1]، **يعني أن الشيطان لما أيس من الموحدين الشرك الذي هو في الطاعة والعبادة رضي منهم بالتحريش أي ما دون ذلك**، فالذي يقع من المسلمين من المعاصي بسبب استزلال الشيطان كالتحريش وغيره لا يسمى شركاً في العبادة ولا شركاً في الطاعة، وإنما يسمى استجابة لمعصية وهو جنس المعاصي عموماً.

فاستجابة الموحد لداعي الغواية من النفس أو الهوى أو شياطين الإنس والجن يكون بحسب العمل، فمن أجاب إلى كفر فقد كفر ودخل في عبادة الشيطان، ومن أجاب إلى معصية ففعله معصية وهذا لا يدخل في شرك الطاعة الذي يُصرف للمشرعين من دون الله كما سبق بيانه، فارتكاب المعصية من المسلم لا يكون إلا استجابة لغواية أو وسوسة على مقتضى الهوى أو الاسترسال الطبيعي مع خواطر النفس والشيطان ثم العزم على الفعل، إلا إذا وصل إلى مرتبة استحلال المعصية فيكون قد اتخذ إلهه هواه إذا أحلَّ بتحليله وحرَّم بتحريمه فمن هنا فقط يكون الكفر، كما قال تعالى: ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً ﴾ [الفرقان 43] .

أما شرك الطاعة فهو امتثال التكليف الصادر من المشرعين وقبول التلقي منهم في التحليل أو التحريم والدخول في العمل، ولا يشترط فيه المتابعة في الاعتقاد والاستحلال لأن الاستحلال كفر مجرد لا يلزم أن تُصاحبه الطاعة، أي من استحل الحرام أو حرم الحلال كفر ولو لم يعمل أو يمتثل، أما طاعة المشرعين في المعصية فهي كفر عملي مجرد لا يشترط فيه اعتقاد الحل أو الحرمة، وهذا الذي يتخرج على معتقد أهل السنة والجماعة في باب الإيمان خلافاً لمن علق الكفر بالاستحلال فأصبحت

[1] رواه مسلم برقم 65

الطاعــة لغــواً لا يضــر دخولهــا أو خروجهــا كمنــاط للكفــر، وهــذا التأصــيل فيــه إلغاء لأحد أنواع الشرك بالله الذي هو شرك الطاعة.



المطلب السادس: صور من الطاعة الشركية في هذا الزمان.

نقول أنَّ قبول التكليف والتلقي له دلالة ظاهرة وليس محصورا في الباطن، فعموم الناس في هذه الديار هم داخلين في طاعة الطواغيت من دون الله منقادين لهم خاضعين لأمرهم مشركين شرك الطاعة والاتباع، **فالعموم في هذه الديارو اقعين في شرك الطاعة متابعين لما شرعه الطواغيت كما قال الشنقيطي:"** وَيُفْهَمُ مِنْ هَذِهِ الْآيَاتِ، كَقَوْلِهِ: ﴿ وَلَا يُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدٗا ﴾[الكهف:26]، **أَنَّ مُتَّبِعِي أَحْكَامِ الْمُشَرِّعِينَ غَيْرِ مَا شَرَعَهُ اللَّهُ أَنَّهُمْ مُشْرِكُونَ بِاللَّهِ**، وَهَذَا الْمَفْهُومُ جَاءَ مُبَيَّنًا فِي آيَاتٍ أُخَرَ، كَقَوْلِهِ فِي مَنِ اتَّبَعَ تَشْرِيعَ الشَّيْطَانِ فِي إِبَاحَةِ الْمَيْتَةِ بِدَعْوَى أَنَّهَا ذَبِيحَةُ اللَّهِ: ﴿وَلَا تَأۡكُلُواْ مِمَّا لَمۡ يُذۡكَرِ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسۡقٞۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ ﴾[الأنعام:121]، فَصَرَّحَ بِأَنَّهُمْ مُشْرِكُونَ بِطَاعَتِهِمْ، وَهَذَا الْإِشْرَاكُ فِي الطَّاعَةِ، وَاتِّبَاعِ التَّشْرِيعِ الْمُخَالِفِ لِمَا شَرَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى هُوَ الْمُرَادُ بِعِبَادَةِ الشَّيْطَانِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٦٠ وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴾[يس:60]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى عَنْ نَبِيِّهِ إِبْرَاهِيمَ: ﴿ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴾[إبراهيم 44]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ إِن يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثٗا وَإِن يَدۡعُونَ إِلَّا شَيۡطَٰنٗا مَّرِيدٗا ﴾[النساء 117]، أَيْ: مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا شَيْطَانًا، أَيْ: وَذَلِكَ بِاتِّبَاعِ تَشْرِيعِهِ، وَلِذَا سَمَّى اللَّهُ تَعَالَى الَّذِينَ يُطَاعُونَ فِيمَا زَيَّنُوا مِنَ الْمَعَاصِي شُرَكَاءَ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ قَتۡلَ أَوۡلَٰدِهِمۡ شُرَكَآؤُهُمۡ لِيُرۡدُوهُمۡ وَلِيَلۡبِسُواْ عَلَيۡهِمۡ دِينَهُمۡۖ وَلَوۡ شَآءَ

ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرۡهُمۡ وَمَا يَفۡتَرُونَ ﴾[الانعام 137]، وَقَدْ بَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ هَذَا لِعَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا سَأَلَهُ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ، فَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُمْ أَحَلُّوا لَهُمْ مَا حَرَّمَ اللَّهُ، وَحَرَّمُوا عَلَيْهِمْ مَا أَحَلَّ اللَّهُ فَاتَّبَعُوهُمْ فِي ذَلِكَ، وَأَنَّ ذَلِكَ هُوَ اتِّخَاذُهُمْ إِيَّاهُمْ أَرْبَابًا.

وَمِنْ أَصْرَحِ الْأَدِلَّةِ فِي هَذَا: أَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا فِي «سُورَةِ النِّسَاءِ» بَيَّنَ أَنَّ مَنْ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى غَيْرِ مَا شَرَعَهُ اللَّهُ يَتَعَجَّبُ مِنْ زَعْمِهِمْ أَنَّهُمْ مُؤْمِنُونَ، وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِأَنَّ دَعْوَاهُمُ الْإِيمَانَ مَعَ إِرَادَةِ التَّحَاكُمِ إِلَى الطَّاغُوتِ بَالِغَةٌ مِنَ الْكَذِبِ مَا يَحْصُلُ مِنْهُ الْعَجَبُ ; وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا ﴾[النساء:60]، وَبِهَذِهِ النُّصُوصِ السَّمَاوِيَّةِ الَّتِي ذَكَرْنَا يَظْهَرُ غَايَةَ الظُّهُورِ: أَنَّ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الْقَوَانِينَ الْوَضْعِيَّةَ الَّتِي شَرَعَهَا الشَّيْطَانُ عَلَى أَلْسِنَةِ أَوْلِيَائِهِ **مُخَالَفَةً** لِمَا شَرَعَهُ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا عَلَى أَلْسِنَةِ رُسُلِهِ، **أَنَّهُ لَا يَشُكُّ فِي كُفْرِهِمْ وَشِرْكِهِمْ إِلَّا مَنْ طَمَسَ اللَّهُ بَصِيرَتَهُ، وَأَعْمَاهُ عَنْ نُورِ الْوَحْيِ مِثْلَهُمْ**"[1].

ومن الدلالات على كفر المسلم في هذه الديار ووقوعه في شرك الطاعة:

1ـ التجنس: وقد بينا ذلك مفصلا في كتاب:" الجنسية في الميزان الشرعي"، ومقتضى التجنس هو القبول بقوانين وتشريعات البلاد والمشاركة في العملية السياسية التي هي الحكم والتشريع من دون الله، والإقرار على الديانة الديمقراطية وقبول التكليف من الطاغوت الحاكم والالتزام بواجبات التجنس من الاحترام للقوانين والنصرة والمشاركة في جيش الدولة المانحة للجنسية والدفاع عنها وهو في حقيقة أمره وعدٌ

[1] أضواء البيان 259/3

بالنصرة، وهذا من أعظم الموالاة للمشركين، والنصوص الشرعية طافحة بتكفير من فعل هذا، وقد سمى الله من أظهر الموالاة للمشركين خوفاً من الدوائر منافقاً فكيف بمن كان جندياً احتياطيا عند دولة طاغوتية متعهداً بنصرتها متى احتاجت للنصرة،

2- الدخول في المؤسسات الطاغوتية

وهنا بحث دقيق: إذ لا يكفي في الكفر بأنظمة الطواغيت في هذا الزمان اعتقاد بطلانها، بل يجب مفاصلتها واجتنابها، إذ الانقياد لهذا النظام بالدخول في مؤسساته الطاغوتية يُصادم الإسلام من كل وجه، إذ لا يخلو ذلك من قبول التكليف من المشرعين وطاعتهم في مخالفة الشريعة والاتباع لشريعة غير الله، وهي معنى العبادة لهم كما سبق بيانه، فإن الانقياد والخضوع لنظام وضعي بالدخول في مؤسساته وطاعة قوانينه والانقياد لها خروج من دين الله إلى دين طواغيت الأرض ... فإما الانقياد لأمر الله تعالى وترك الانقياد لغيره من الأنظمة الوضعية فهو الإسلام، أو الانقياد للطواغيت ونظام مُلكهم والدخول في مؤسساتهم فهو دين الجاهلية، ولا ينفع معه اعتقاد البطلان فإن الإسلام قول وعمل ونية ولا يجزئ أحدها عن الآخر، ولا يَسلم للمرء دينه في هذا الزمان إلا باعتزال الأنظمة الجاهلية وعدم المشايعة لها بالعمل كما قال تعالى عن خليله إبراهيم: ﴿ وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ﴾ [مريم 48]، فإن الخروج من الجاهلية باعتقاد بطلان أوضاعها والبراءة من أهلها وترك المتابعة والانقياد لنظامها الطاغوتي هو صحيح الإسلام الذي ينجوا به المرء من ظلمات الجاهلية وحمأة الكفر، وهو الذي تتحقق به العبودية لله عز وجل وحده دونما سواه بالخروج جُملةً من العبودية للبشر، أما إنْ كان في حياته منقاداً لنظام الطواغيت الذي استمداده من أهواء البشر فهو عبد للبشر لا لله تعالى.

واعلم أن أنظمة الطواغيت قائمة في الأرض على المحادة لله عز وجل والمحاربة لدينه وتعبيد الناس لغير الله، وغمسهم في الشرك والكفر وزجهم

في الوثنية وردهم إلى الجاهلية، وتنشئة الأجيال على دين الديمقراطية وسلخهم من دين الفطرة، وسجن وقتل أهل الصلاح والإصلاح وفتنهم عن دينهم وصدهم عن الدعوة إلى الحق، فهذا النظام لا يقوم في الأرض إلا بقوة تحميه وجيوش وشُرَطٍ تَذُودُ عنه وتُقيم أركانه وتدفع عنه صولة أهل الحق، وإن كان حماية عروش الطواغيت يكون بالحديد والسلاح، فهو كذلك بإضفاء الشرعية على مُلكهم وتَصحيحِ مذهبهم وأمرِ العامة بطاعتهم وهؤلاء هم حَميرُ العلم التابعين للمؤسسات الدينية الموالية للنظام، فلا فرق بين الجندي في الثكنات والجبهات والإمام الذي يرتقي المنبر ويدعوا للطاغوت بطول العمر والبركات، فهذا الأخير أشدُ كفرا وأكبر جُرْماً وإثماً وهو في أسفل الدركات، وإن كان النبي ﷺ نهى عن العمل تحت إمارة من يؤخرون الصلاة عن وقتها ويقربون شرار الناس فكيف بأهل الملل المبدلين لشريعة الله، فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيَأْتِيَنَّ عَلَيْكُمْ أُمَرَاءُ يُقَرِّبُونَ شِرَارَ النَّاسِ، وَيُؤَخِّرُونَ الصَّلَاةَ عَنْ مَوَاقِيتِهَا، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَلَا يَكُونَنَّ عَرِيفًا، وَلَا شُرْطِيًا، وَلَا جَابِيًا، وَلَا خَازِنًا»"[1].

وإنَّ هذا النظام الوضعي يقوم على المال الذي هو عَصَبُ السُلطان، ولذلك فالمؤسسات الاقتصادية الكبرى التي يقوم عليها اقتصاد الدول[2] تعود نفقاتها على ما يقوم عليه دين الطاغوت في الأرض[3]، فإن ميزانية الجيوش والسجون والمدارس والإعلام وغيرها كبيرة جداً قد لا يتحمَّلها اقتصاد تلك البلدان إلا بالاستدانة من صناديق الغرب ... وكذا المؤسسات التربوية والتعليمية قائمة على تنشئة الأجيال كفار أصليين على دين الديمقراطية، فعامة هؤلاء العاملين في هذه المؤسسات العلمانية

---

[١] رواه ابن حبان في صحيحه برقم 4586

[2] كمؤسسة أرامكوا في السعودية ونحوها.

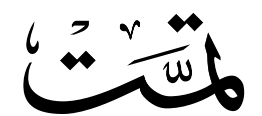
[٣] قال ابن حزم:" وَكَذَلِكَ: مَنْ سَكَنَ بِأَرْضِ الْهِنْدِ، وَالسِّنْدِ، وَالصِّينِ، وَالتُّرْكِ، وَالسُّودَانِ وَالرُّومِ، مِنْ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنْ كَانَ لَا يَقْدِرُ عَلَى الْخُرُوجِ مِنْ هُنَالِكَ لِثِقَلِ ظَهْرٍ، أَوْ لِقِلَّةِ مَالٍ، أَوْ لِضَعْفِ جِسْمٍ، أَوْ لِامْتِنَاعِ طَرِيقٍ، فَهُوَ مَعْذُورٌ. فَإِنْ كَانَ هُنَاكَ مُحَارِبًا لِلْمُسْلِمِينَ **مُعِينًا لِلْكُفَّارِ بِخِدْمَةٍ، أَوْ كِتَابَةٍ**: فَهُوَ كَافِرٌ" المحلى 126/12

الطاغوتية طائعين منقادين لها تجري عليهم أحكامها اختياراً، وهم يعلمون سلفاً أن لهذه المؤسسات شرائع وأنظمة ولوائح وضعية تخاطب كافة العاملين في هذه المؤسسات، ويُلزمون بها ويخضعون لها، ويعلمون كذلك أن من سَنَّ هذه التشريعات وقرر هذه اللوائح طائفة من البشر لم يهتدوا بهدي الله، ولم يردوا أمرهم إلى شريعة الله، وإنما مردهم إلى الأهواء والمصالح التي قد تتفق أحياناً مع شريعة الله، وكثيرا ما تضاد أحكام الله وتأمر بمعصية الله، **فهم بدخولهم في هذه المؤسسات قد عقدوا معها عقوداً فيها دلالة ظاهرة على قبولهم للتكليف ومتابعتهم لنظام وضعي كفري وطاعتهم للطواغيت المشرعين في أمرهم ونهيهم، فهؤلاء ليسوا محل نزاع ولا يشك في كفرهم إلا من طمس الله بصيرته وأعماه عن نور الوحي مثلهم.**

3ـ استخراج التراخيص لبيع المحرمات:

وقد درج في هذه الديار تشريع الإذن من الطواغيت ببيع المحرمات وارتكاب الفواحش والمنكرات عبر نقاط معينة وبشروط خاصة عبر استخراج تراخيص لممارسة هذه المحرمات، فمحلات بيع الخمور والمحرمات والفنادق والأوكار التي يمارس فيها الزنا مرخصة من الطواغيت، فكل من استخرج هذه التراخيص والوثائق لبيع هذه المحرمات وارتكاب الفواحش فقد أشرك بالله شرك الطاعة كما بينا مفصلا في هذا الباب.

والله أعلم وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه والتابعين.


تمت

